بقيع الغرقد

محسن الأسدي.[1]

ملخّص البحث:

تناولت هذه المقالة بقيع الغرقد لغةً، و موقعاً و تاريخاً، و فضائل و مناقب و نعماً لطالما أسبغه عليه رسول الله صلى الله عليه وآله و من واسع فضله، لم يكن يتصف به لولا رسول الرحمة صلى الله عليه وآله و اختياره له، حتى جعل منه بقعةً مباركةً، مقبرةً طيبةً، مدفناً لعدد من أئمة العترة الطاهرة عليهم السلام و للكثير من الصالحـ و الشهداء، و أعلام من الصحابة أنصاراً و مهاجرين، و التابعين... فصار بحقٍّ جنّة المأ ى و قبلةً للمسلمين؛ للحجيج و الزائرين على اختلاف مدارسهم و توجهاتهم، يؤمّونه اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وآله و قد واظب على زيارته، يناجي من دفن فيه من المسلمين، يستغفر لهم، يطلب لهم الرحمة، و يعدهم بشفاعته! يزورونه طلباً للأجر، و وفاءً لمن دفن فيه من عباد اللهّ الصالحين، و ها نحن لا نجد أكثرهم إلّا و قد ختم حجّه أو أكمل عمرته بزيارة ضريح رسول الله صلى الله عليه وآله و أضرحة أئمة أهل البيت عليهم السلام

---

١. محقق و باحثٌ ديني.

و الصالحين و أعلامهم ، لم يتوقفو أو يتأخروا عن ذلك ، و إن اعتصرت الآلامُ قلوبَهم ، و تكسرت الحسراتُ و الآهاتُ في صدورهم حزناً على ما يرونه ؛ و قد عبثت به فئةٌ اختزلت فهم الدين بها ، فتفرّدت بفتاوٍ انطلقت من أفهامٍ مستبّدة ، لم تُعر أهميّةً لفهم الآخر و لرأيه و دليله ، فتعدّت على حرمة البقيع، و أساءت لمناقبه و فضائله ، و تجاسرت على أضرحة رموزه ، و أضاعت معالمه؛ حين سعت عبر جهالةٍ و أيادٍ وسخة في تخريبه و تهديمه تحت مزاعم واهية، دون الاكتراث بعقائد غيرهم من المسلمين و مشاعرهم ، بل ازدادت طغياناً حين وصفت نفسها بأنّها القولُ الحقُّ و غيرها في ضلال مبين ، و راحت تكيل الاتهامات لعقائد المسلمين بتكفيرهم و تضليلهم و تسقيط حرمتهم تمهيداً لإباحة دمائهم ، و كأنَّ السماء لم تخلق غيرهم ، و لم تسمع إلّا منهم ، و لم ترَ إلّا فتاويهم..!!

الكلمات المفتاحية :

بقيع الغرقد ، يثرب ، البقيع بين الفضائل والمعاول و...

***

يثرب تلك البلدة ، التي عرفت بهذا الاسم منذ نشأتها الأولى ، قبل البعثة النبويّة المباركة بألف وخمسمئة سنة أو تزيد قليلاً ؛ منطقة محدودة تقع في سهل يمتدّ من الشمال من جبل سلع وحتى أطراف جبل أُحد من الغرب فوادي بطحان.

و يُقال: إنّ يثرب اسم الحفيد السابع لنبيِّ الله نوح عليه السلام من ابنه سام. و إنه أول من سكنها ، أو لأنّ الذي نزلها من العماليق اسمه يثرب ابن عميل ؛ أو عبيل بن مهلائيل ابن عوض بن عملاق بن لاوذ بن إرم.

فعن ابن عباس أنَّ يثرب كان اسماً لابن عبيل الذي هو أول من نزل المدينة و إلى

ابنـه المذكور سـمّيت البلـدة يثرب.

و قـد ذكـرت يثـرب مـرّةً واحـدة في التنزيـل العزيـز في سـورة الأحـزاب على لسـان طائفـة مـن المنافقـين: ﴿وَإِذْ قَالَـت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يـا أَهْلَ يَـثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُـمْ فَارْجِعُواْ وَ يَسْـتَئْذِنُ فَرِيـقٌ مِّنْهُـمُ النَّبِيَّ يَقُولُـونَ إِنَّ بُيُوتَنَـا عَوْرَةٌ وَمَـا هِيَ بِعَـوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَاراً﴾.[1]

لتصـل أسـماؤها فيـما بعد إلى مـا يقارب تسـعة و عشرين اسـماً، و بعضهـم تحدث عن ثمانـين اسـماً؛ منها طيبة و طابـة و المباركـة، و دار الهجرة...

و لكـن أشـهرها المدينـة المنـورة، كـما سـمّاها رسـول اللهﷺ و ثبُـت اسـمها في القرآن الكريـم: ﴿وَمِمَّـنْ حَوْلَكُـمْ مِّـنَ الأَعْـرَابِ مُنَافِقُـونَ وَ مِنْ أَهْـلِ الْمَدِينَةِ مَـرَدُواْ عَلَى النِّفَـاقِ لاَ تَعْلَمُهُـمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَـنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُـمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـذَابٍ عَظِيمٍ﴾.[2]

﴿مَـا كَانَ لِأَهْـلِ الْمدِينَـةِ وَ مَـنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْـرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُـولِ اللّهِ وَ لاَ يَرْغَبُـواْ بِأَنفُسِـهِمْ عَـن نَّفْسِـهِ ذَلِـكَ بِأَنَّهُـمْ لاَ يُصِيبُهُـمْ ظَمَـأٌ وَ لاَ نَصَـبٌ وَ لاَ مَخْمَصَـةٌ فِي سَـبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَـؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيـظُ الْكُفَّارَ وَ لاَ يَنَالُونَ مِـنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِـبَ لَهُـم بِهِ عَمَـلٌ صَالِـحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمحْسِـنِينَ﴾.[3]

و قـد عرفـت و اشـتهرت بـه بعد الهجـرة، و هو أليـق بها، و بعـد أن قدر لهـا الله تعالى أن تُفتـح بالقـرآن الكريـم، فتكـون داراً و منـزلاً و قراراً لأفضـل الخلق جميعاً رسـول الله محمـدﷺ حين وطأت قدمـاه المباركتان ترابها في هجرته إليها مـن مكة المكرمة؛ و لتحظى بـشرف وجوده المبـارك، و أهلها بـشرف الإيمان به و برسـالته، و بنصرتـهﷺ و إيوائه.

فتصبـح بذلـك مركـز انتشـار الدعـوة الإسـلاميّة و عاصمـة دولتهـا و لتكـون ثـاني

---

١. سورة الأحزاب: ١٣.

٢. سورة التوبة: ١٠١.

٣. سورة التوبة: ١٢٠.

الحرمين الشّريفين: مكة و المدينة ، و أهمّ مدينة إلى جانب مكة المكرّمة و بيت المقدس ، و لتتميّز أيضاً بمعالم عديدة ؛ مساجد و مواقع ، أهمّها:

ـ المسجد النّبوي: و يُعدُّ أكبر المساجد فيها ، أسّسه النبيُّ ﷺ موقعاً عباديًّا و مقرًّا قياديًّا ، و مركزاً إداريًّا لشؤون الدولة و الناس... و على مقربة منه شرقاً ، بل الأقرب إليه من جميع المعالم ، يقع بقيع الغرقد ، مقبرة رئيسية لأهل المدينة و ما حولها...

ـ بقيع الغرقد : البقيع بين الفضائل و المعاول :

فالبقيع لغةً: الموضع و البَقيعُ ، موضعٌ فيه أرومُ الشجَرِ من ضُروبٍ شتّى ، و به سمي بقيع الغرقد ، فهو مكان متّسع فيه أشجار مختلفة ، يكثر و يتنوع فيه أُروم الشجر ، و هو الغرقد ؛ كبار العوسج ، شجرٌ عِظامٌ ، أو هي العَوْسَجُ إذا عَظُمَ و كبر.

قال الراجز:

ألفن ضالاً ناعماً و غرقداً.

و قال الخطيم العكلي:

أواعس في برث من الأرض طيّب و أودية ينبتن سدراً و غرقداً

واحِدُهُ: غَرْقَدَةٌ ، فلذا سُمّي ببقيع الغَرْقَدُ ، و قد ذهب الغرقد الذي كان ينبت هناك ، فبقي الاسم ملازماً له و ذهب الشجر ، و أيضاً كان كثير الأعشاب تأكلها الأغنام و الإبل.

و في لسان العرب: غرقد: اَلْغَرْقَدُ: شَجَرٌ عِظَامٌ وَ هُوَ مِنَ الْعِضَاهِ وَاحِدَتُهُ غَرْقَدَةٌ وَ بِهَا سُمِّيَ الرَّجُلُ. قَالَ أَبُوحَنِيفَةَ: إِذَا عَظُمَتِ الْعَوْسَجَةُ فَهِيَ الْغَرْقَدَةُ. وَ قَالَ بَعْضُ الرُّوَاةِ: الْغَرْقَدُ مِنْ نَبَاتِ الْقُفِّ. وَ الْغَرْقَدُ: كِبَارُ الْعَوْسَجِ وَ بِهِ سُمِّيَ بَقِيعُ الْغَرْقَدِ لِأَنَّهُ كَانَ فِيهِ غَرْقَدٌ ، وَ قَالَ الشَّاعِرُ : أَلِفْنَ ضَالًا نَاعِمًا وَغَرْقَدَا.

وَ فِي حَدِيثِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: إِلَّا الْغَرْقَدُ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ ؛ وَ فِي رِوَايَةٍ: إِلَّا

الْغَرْقَدَةُ؛ هُوَ ضَرْبٌ مِنْ شَجَرِ الْعِضَاهِ وَ شَجَرِ الشَّوْكِ، وَ الْغَرْقَدَةُ وَاحِدَتُهُ؛ وَ مِنْهُ قِيلَ لِمَقْبَرَةِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ: بَقِيعُ الْغَرْقَدِ، لِأَنَّهُ كَنَ فِيهِ غَرْقَدٌ وَ قُطِعَ. قَالَ ابْنُ سِيدَهْ: وَ بَقِيعُ الْغَرْقَدِ مَقَابِرُ بِالْمَدِينَةِ وَ رُبَّمَا قِيلَ لَهُ الْغَرْقَدُ؛ قَالَ زُهَيْرٌ:

لِمَنِ الدِّيَارُ غَشِيتُهَا بِالْغَرْقَدِ كالْوَحْيِ فِي حَجَرِ الْمُسِيلِ الْمُخْلِدِ

و في بعض المصادر التاريخية أنَّ البقيع كان بستاناً يحوي أشجاراً من العوسج و كان يقال له: بقيع الخَبْخَبة، و كان أكثر نباته الغَرْقَد، و به نِجالٌ كثيرة، و النَّجْل: النَّز وأَثْل و طَرْفاء، و به بَعوضٌ كالدُّخَان إذا أمسوا... و تقع مقبرة بقيع الغرقد في الجنوب الشرقي للمسجد النبوي الشريف. و الغرقد يقع شرق المدينة قرب حرّة واقم، و كان يقال له بقيع الحبخبة، أكثر نباته الغرقد، و به نجال كث و النجل: النز و أثل و طرفاء، و به بعوض كالدخان إذا أمسوا...

يقول الخليلي: و اتخذ البقيع مقبرة و سميت ببقيع الغرقد؛ لأنها كانت مغطاة بالنباتات الشوكية المعروفة بالغرقد، أما كلمة البقيع فمعناها المكان المزروع بعدد من أنواع الشجر، و لذلك سمّاها الرحّالة السويسري (بورخارت): (جَنَّة البقيع)!

أقول: لم يسمِ بورخارت، الذي زار البقيع بعد تخريبه من قبل الوهابيين بقيعَ الغرقد كلَّه (جنَّة البقيع)، و لم يسمّه لما فيه من زروع، و قد قطعت و انتهت، و إنّما سمّى جزءًا منه زاره في رحلته، كان و ما زال موضع اهتمام المسلمين بمن دُفن فيه من الصالحين أئمّةً و شهداء و صحابةً و تابعين و أعلاماً.

و هذا هيكل جعل فصلاً من فصول كتابه منزل الوحي (جَنَّة البَقِيع) و ذكر أنَّ بورخارت هو صاحب هذا الوصف، و إنّما عَنَى جزءًا منه هو الذي بقي موضع عناية الناس به و زيارتهم إياه... جاء قوله هذا في بداية الفصل: إنْ تَعْجَب فقد عجبتُ قبلك من عنوان هذا الفصل، عجبتُ حين قرأتُ الكلمتين اللتين تؤلِّفانه على صورة شمسية للقباب التي كانت قائمة بالبقيع، ثم هدمها الوهابيون، و إنّما

هـوَّن مـن عجبي أنَّ الـذي أطلق على المـكان جنّة البقيـ وضعه على الصـورة رجل من الأتـراك في عهـد بنـي عثمان ، فلمّا انقـضى الـ و عُـدْتُ أتدبَّر الكلمتـين رأيتهما تعبران عـن معنًـى دقيـق فاخترتُهـما عنوانًا لهـذا الفصل مـن الكتاب.

فالبقيـع ، أو بقيـع الغَرْقَـد كـما تسـميه كتـب السـيرة ، هو مقـبرة المدينـة ، كان مقبرتها في الجاهليـة و في صـدر الإسـلام ، و ما يـزال مقبرتها إلى اليـوم ، و لم يَعْـنِ التركي صاحب الصـورة الشمسـية هـذا البقيع كلّه في جا لميته و إسـلامه ، و إنّـما عَنَى جزءًا منـه هو الذي بقـي موضـع عناية النـاس بـ و زيارتهـم إياه.

و قد اتخذ هيكل هذا الجزء موضع حديثه كما يأتينا.

و إذا بالبقيـع ، و بفضـل مـن الله تعالى يتحول بيـدي رسـول اللهﷺ المباركتين إلى بقعة طيبـة حظيـت بمقـام كريـم وبفضائل كثـيرة ، بعد الإسـلام ، و بُعيـد هجرتـه المباركة إلى يثـرب ؛ المدينـة فيـما بعـد ، و بُعيـد أن وطـأت قدمـاه المباركتـان أرضهـا خُصِّصـت هـذه المقـبرة ، للدفن.

و غـدت بذلـك و بما يأتينا من أقوال و مواقف رسـول اللهﷺ أشـهر موقـع من مواقع المدينـة ، بل من أشـهر مواقع الحجـاز قاطبة.

أقـول: قاطبـة أي جميعـاً ، و لا أظـنّ الخليـلي إلّا ملتفتـاً إلى شـهرة المسـجد الحـرام و المسـجد النبـوي ، و أنّهما لا تُعادلهما شـهرة فضلاً عن الأشـهر ، فكان الأصـح أن يُعقب عبارتـه تلـك بجملـة (بعـد الحرمـين الشريفـين في مكـة و المدينة).

و واصـل كلامـه قائـلاً: و شـهرة البقيـع قـد رافقتـه منـذ أن أصبـح مدفنـاً لعـدد من عظـماء المسـلمين و أئمته و أعـلام الأنصا و المهاجريـن ، و كان النبـيُّﷺ يقصد البقيع يؤمّـه كلّـما مـات أحـد مـن الصحابـة ليصـلّي ع ه و يحـضر دفنـه ، و قـد يـزور البقيع في أوقـات أخـرى ؛ ليناجـي الأمـوات مـن أصحابـ و يطلب لهـم الرحمة!

و قـد اختلـف في أنها كانت قبل الإسـلام مقبرة ، قـولان: الأول يذهـب إلى أنها كانت

مقـبرة لأهل يثـرب. و يبدو لا دليـل عليه معتبر.

فيـما الثـاني: يذهـب إلى عـدم وجـود مـا يُشـير إلى أنهـا كانت مقـبرة لأهل يثـرب قبل الإسـلام، و قـد ذكـر بقيـع الغرقـد في أقـدم نـصّ شـعري؛ في مرثيـة عمـرو بـن النعمان البيـاضي، أحـد زعماء الخـزرج، يرثـي قومـه الذيـن قتلـوا في وقعـة بـين قبيلتـي الأوس و الخـزرج، اقتتلـوا في داخل بسـتان بالعقيق على عـشرة أميال من المدينـة و بقيع الغرقد، و أطلـق عليه (يـوم البقيـع) انتصر فيهـا الأوس.

و في قـولٍ: كانـوا قـد دخلـوا حديقة مـن حدائقهم في بعـض حروبهـم، و أغلقوا بابها عليهـم، ثـمّ اقتتلوا، فلـم يفتتح البـاب حـى قتل بعضهـم بعضاً.

و قد جاء في مرثيته:

خلـت الديـار فسـدت غـير مسـوّد	و مـن العنـاء تفـرّدي بالسّـؤدد
أيـن الذيـن عهدتهـم في غبطـة	بـين العقيـق إلى بقيـع الغرقـد؟
كانـت لهـم أنهـاب كل قبيلـة	و سـلاح كل مـدرّب مسـتنجد
نفـسي الفـداء لفتيـة مـن عامـر	شربـوا المنيّـة في مقـام أنكـد
قـوم هـم سـفكوا دمـاء سراتهـم	بعـض ببعـض فعـل مـن لم يرشـد
يـا للرجـال! لعثـرة مـن دهرهـم	تركـت منازلهـم كأن لم تعهـد
و لكـن في الحماسـة نُسـبت هـذه	الأبيـات إلى رجـل مـن خثعـم.

و لكـن مجـرّد ذكـره فقط في هذه المرثيـة لا يعني أنه مقـبرة، لا يكفي دليـلاً على كون البقيـع كان مقـبرة قبل الإسـلام، و أظنّ الاشـتباه حصل من كون الشـاعر ذكر.

أيـن الذيـن عهدتهـم في غبطـة بـين العقيـق إلى بقيـع الغرقـد؟

فقـد ذكر بقيع الغرقد تحديداً لسـاحة القتـال الذي وقع بين قبيلتـي الأوس و الخزرج، لا لأنه مقـبرة لموتاهم أو قتلاهم.

و إن ذكـر هيـكل: «أنَّ البقيـع، أو بقيـع الغَرْقَـد كـما تسـميه كتـب السـيرة، هو مقبرة

المدينـة ، كان مقبرتهـا في الجاهليـة في صدر الإسـلام ، و ما يزال مقبرتهـا إلى اليوم». دون أن يذكـر الدليـل على قولـه هذا.[1]

لقـد خُصّصـت لدفن موتـى المسـلمين دون غيرهم من اليهـو و الذين كانـوا يدفنون موتاهـم في مـكان آخر ؛ بسـتان يُعرف بـ (حش كوكب) و هو بسـتان يقـع جنوب شرقي بقيع الغرقد.

و كان تخصيـص بقيـع الغرقـد بذلك قد ابتدأ حـين وصله رسـول اللهﷺ و هو يبحث في نواحـي المدينـة و أطرافها باحثـاً عن مكان يدفـن فيه أصحابه.

عن عبيـد الله بن أبي رافع قال: كان رسـول اللهﷺ يرتـاد لأصحابه م ة يدفنو فيها، فـكان قـد جاء نواحي المدينة و أطرافهـا ، قال: ثمّ قال: «أُمـرت بهذا الموضع».

و بكلمتـهﷺ بـدأت مقـبرة البقيـع يُدفـن فيها ، و صـارت موضعـاً لفضائـل كثيرة ، نُسـبت إلى رسـول اللهﷺ جعلـت منهـا (جنَّـة البقيع). حقًّـا بعد أن صـار مقـبرةً باختيارٍ مـن رسـول اللهﷺ بـل بأمـرٍ من السـماء كـما نُسـب إلى رسـول اللهﷺ قوله: (أُمـرت بهذا الموضـع) مقـبرةً بسـيطة المظهـر ، قبورهـا دوارس ، فقـد حظـي هـذا الموضـع بمنزلـة طيبـة عنـد رسـول اللهﷺ و عنـد الصحابـة و التابعين تبعـاً لرسـول اللهﷺ و اقتـداءً به ، و بفضائـل جمّـة فيما ورد عنـهﷺ فإضافة إلى كون ذاتهـا خصّت بفضائل فهي مشـمولة بما ورد في المدينـة المنـورة مـن كونهـا حَرَمـاً ، و بـما ورد فيها مـن أحا يث و روايـا و أقوال و مواقـف تثبـت فضائلهـا و تكريمهـا و عظيـم شـأنها ، و أعظـم الفضائـل تسـتمدها مـن تواجـد رسـول اللهﷺ فيهـا زائـراً مصليّـاً عـلى أهلها مسـتغفراً لهـم... و مـن رعايته

---

١. انظـر كتـاب العـين١ : ١٥٤ـ ١٥٥، ٣ : ٢٧٦ ؛ معجـم البلـدان ١ : ٤٧٣ ؛ الصحـاح في اللغـة؛ مختـار الصحـاح ؛ المعجـم الوسـيط ؛ ولسـان العـرب، لابـن منظـور ؛ موسـوعة العتبـات المقدسـة، جعفرالخليـلي٣ : ١٠١ ؛ مـرآة الحرمـين ١ : ٤٢٥ ؛ منـزل الوحي، لمحمد حسـين هيـكل: جنَّة البقيع :٥١٢ ؛ الإصابـة ٤ : ٥٧٥ ؛ وطبقـات ابن سـعد٣ : ١٠١، ٦: ٩٢ ؛ الكامل في التاريخ، لابن الأثير١ : ٦٧٣ ؛ شرح نهـج البلاغـة، لابـن أبي الحديـد ١٠ : ٦ .

اهتمامه بها حيًّا و ميّتاً، و من كونها إلى جوار ضريحه المطهر المبارك ... و يكفيها ذلك فخراً و فضيلةً، و لأهلها شرفاً و كرامةً.

فمقبرة البقيع فازت بحرمة المدينة المنورة، و دليل حرمة المدينة ما روي عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «اللهم إني أحرم ما بين لابتيها مثل ما حرم إبراهيم مكة، اللهم بارك في مُدِّهم و صاعهم. اللَّهمَّ إنَّ إبراهيم حرَّم مكَّة فجعلها حرماً، و إنِّي حرَّمت المدينة حراماً ما بين مأزِميها، أن لا يُهراق فيها دمٌ، و لا يُحمل فيها سلاحٌ لقتالٍ، و لا تُخبط فيها شجرةٌ إلَّا لعلفٍ».

و الموقع المحرّم من المدينة هو ما بين الحرّتين شرقاً و غرباً، و ما بين عير إلى ثور يميناً و شمالاً. و قد ضُمّت إليه أراض مجا رة و بني حوله سور جديد مرتفع مكسوّ بالرخام. و تبلغ مساحته الحالية مئة و ثمانين ألف متر مربع.

و بالتالي فالمدينة المنورة حرم مبارك، و هي ثاني الحرمين الشريفين بعد مكة المكرمة.

و فازت أيضاً بدعاء رسول الله صلى الله عليه وآله و شفاء و استغفاره...

و من ذلك دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله: «اللَّهمَّ بارك لنا في مدينتنا».

و من ذلك شفاعته و استغفاره و شهادته لمن يموت و يُدفن فيها، و قد رويت بذلك الأحاديث، نوجز ما تيسّر لنا منها:

«أنَّ شفاعته صلى الله عليه وآله لمن مات بالمدينة».

«مَن استطاعَ أنْ يموتَ بالمدينةِ فليمتْ فيهَا، فإِنِّي أشفعُ لَمن يموتُ بهَا».

«... فإنَّه لا يموتُ بهَا أحدٌ إلاَّ كنتُ لهُ شفيعًا، أوْ شهيدًا يومَ القيامةِ».

«... فإنه من يَمُت بها نشفعُ لـ و نشهدُ له».

«... فإنه من مات بالمدينة كنتُ له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة».

«من مات في أحد الحرمين بُعث آمناً يوم القيامة».[1]

و بما أنَّ بقيع الغرقد بمقبرته التي اختارها رسول الله صلى الله عليه وآله جزء منها، فهي مقدسة بقدسيتها، و محرمة بحرمتها، و مشمولة بفضائلها.

و بالتالي فالبقيع يحظى بكلّ ما ورد بخصوص هذا الحرم المبارك: المدينة المنورة، و بما خصّه به رسول الله صلى الله عليه وآله و خصَّ من يُدفن به، و من ذلك أنَّها قريبةً من مرقده صلى الله عليه وآله الشريف، و في هذا فضل عظيم؛ لأنَّها تستقي من بركات جواره و عطائه و خيره، و قد روي أنَّه صلى الله عليه وآله قال: عن عبد الله بن مسعود عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «حياتي خير لكم تُحدثون و يُحْدَثُ لكم، و وفاتي خير لكم تعرض عليَّ أعمالكم، فـ رأيت من خير حمدت الله عليه، و ما وجدت من شرٍّ استغفرت لكم».[2]

عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حياتي خير لكم و مماتي خير لكم، فأما حياتي، فإنَّ الله هداكم بي من الضلالة، و أنقذكم من شفا حفرة من النا و أما مماتي، فإنَّ أعمالكم تعرض عليَّ، فما كان من حسن استزدت الله لكم، و ما كان من قبيح استغفرت الله لكم».

فقال له رجل من المنافقين: و كيف ذاك يا رسول الله و قد رممت؟ يعني صرت رميماً، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «كلّا إنَّ الله حرّم لحومنا على الأرض، فلا تطعم منها شيئاً».[3]

---

١. انظر في هذا كله كلاً من صحيح البخاري، عن أبي هريرة، الرقم: ١١٨٩؛ وصحيح مسلم، عن أبي سعيد الخدري، الرقم: ١٣٧٤؛ الطبراني في الكبير؛ النسائي في الكبرى؛ البيهقي في الشعب؛ أحمد والترمذي وابن حبان وابن ماجه.

٢. انظر البداية، للحافظ ابن كثير ٥ : ٢٧٥؛ الخصائص الكبرى، للسيوطي ٢ : ٢٨١؛ الحافظ العراقي في طرح التثريب، إسناده جيّد؛ الهيثمي في مجمع الزوائد، رواه البزار ورجاله رجال الصحيح؛ وصحّحه السيوطي في الخصائص.

٣. بحار الأنوار، للعلّامة المجلسي ٢٢ : ٥٥١ باب ٣، غرائب أحواله بعد وفاته، و ما ظهر عند ضريحه صلى الله عليه وآله.

فما أطيبك سيدي يا رسول الله **حيًّا و ميتاً**، و ما أنفعك حيًّا و ميّتاً، و ما أعظم بركاتك حيًّا و ميتاً.

و قد أنشد ابن أبي الخصال (ت: ٥٤٠ هجرية) قائلاً:

و إن امرءٌ وارى البقيع عظامه لفي زمرة تلقى بسهل و مرحب

و هو من قصيدة طويلة موسومة بـ: معراج المناقب، و منهاج الحسب الثاقب.. في نحو أربعمئة بيت، هذا مطلعها و مقطع منها:

إليك فهمي والفؤاد بيثرب و إن عاقني عن مطلع الوحي مغربي
أعلّل بالآمال نفساً أغرها بتقديم غاياتي و تأخير مذهبي
و ديني على الأيام زورة أحمد فهل ينقضي ديني ويقرب مطلبي
و هل أردنّ فضل الرسول بطيبة فيا برد أحشائي ويا طيب مشربي؟
وهل فضلت من مركب العمر فضلة تبلغني أم لا بلاغ لمركب؟
ألا ليت زادي شربة من مياهها وهل مثلها ريا لغلة مذنب؟
ويا ليتني فيها إلى الله صائر وقلبي عن الإيمان غير مقلب
وإن امرءٌ وارى البقيع عظامه لفي زمرة تلقى بسهل ومرحب
وفي ذمة من خير من وطىء الثرى ومن يعتقله حبله لا يعذب
وما لي لا أشري الجنان بعزمة يهون عليها كلّ طام وسبسب
و ماذا الذي يثني عناني وإنني لجواب آفاق كثير التقلب.[1]

إذن فقد حظيت هذه البقعة من الأرض بما لم تحظ به مقبرةٌ أخرى، و ذلك حين اقترن اسمها بجملة من الفضائل والمناقب، فقد أراد اللهُ تعالى بأن تكون مقبرة لأهل المدينة، و أمر نبيَّه المصطفى صلى الله عليه وآله بالدعاء و الاستغفار لأهلها، فكان صلى الله عليه وآله يخرج ليلاً؛ ليدعو و يستغفر لأهلها و يسلِّم عليهم، و يحضر مشاهد مَن يتوفَّى من الصحابة،

١. معراج المناقب و منهاج الحسب الثاقب، لأبي عبد الله بن أبي الخصال الطويل.

يُضاف إلى ذلك شفاعته، و شهادتهﷺ لمن يموت في المدينة و لمن يُدفن في البقيع.

لهذا كان أجلّ فضائل مقبرة بقيع الغرقد و أعظمها التي جعلتهم لا يرضون بديلاً عنها، و التي راحت ترويها كتب المسلمين جميعاً بلا خلاف:

تمتُعها بتأكيدهﷺ على شفاعته و شهادتهﷺ لمن يموت في المدينة، و كون أهلها يُبعثون من قبورهم قبل سائر الناس، و أنّهم أول من يُشفع لهم، و لمن يُدفن في بقيعها.

كانﷺ يخرج ليلاً و نهاراً؛ يسلّم على أهل البقيع المدفونين فيه؛ يدعو و يستغفر لهم، فضلاً عن حضوره مشاهد من يُتوفّى، و جلوسه و انتظاره إكمال دفن الميت مع دعائه للمتوفّى و تسليته لأهله.

فقد كانﷺ يأتي لدفن من يُتوفّى، كان يأتي للصلاة على المُتوفّى، كان يأتي يواريه الثرى، و كم كان محظوظاً ذلك الذي يُشيّعه نبيُّ الله محمدﷺ إلى مثواه الأخير و يُصلّي عليه، فيواريه الثرى محفوفاً بدعائهﷺ و استغفاره له، كان يأتي لغير هذا كلّه، يأتي مع أصحابه، يأتي وحده يستغفر لسكانها، و يُناجيهم، يُناجي المؤمنين الراقدين فيها، يدعو و يستغفر و يشهد لهم.

إنَّها لمشاهد مباركة من سيرتهﷺ يراها الصحابة بأعينهم، يسمعون كلامهﷺ و أدعيته و مناجاته لكلّ من انتقل من الصالحين إلى جوار ربِّه تعالى.

فأيّ فضل و شرف هذا، حظي به أولئك الذين ضمّهم تراب بقيع الغرقد أن يقف رسول الرحمةﷺ عليهم يستغفر و يدعو لهم، لا لمرّة واحدة، بل يتعدّد ذلك لهم بتعدد زياراته التي واصلها طيلة حياته المباركة؟!

و بعيداً عنها في تلك الأرض، يشهد الصحابة رسول اللهﷺ هناك؛ عند وقعة بدر الكبرى، عند تلك البئر، التي تُسمى القليب، أُلقيت فيه رؤوس كبار الكفر، و طرح فيه ظلمهم و طغيانهم و معتقداتهم، بعد الانتصار الكبير؛ حين راحﷺ يُناديهم:

«هل وجدتم ما وعد ربّكم حقًّا؟ فإنّي قد وجدتُ ما وعدني ربّي حقًّا»!

فعن أنس بن مالك قال: سمع أصحاب النبيّ رسول الله من جوف الليـ و هو يقول:

«يا أهل القليب، يا عتبة بن ربيعة، و يا شيبة بن ربيعة، و يا أمية بن خلف، و يا أبا جهل بن هشام ـ فعدد من كان منهم في القليب ـ هل وجدتم ما وعد ربّكم حقًّا؟ فإني قد وجدتُ ما وعدني ربّي حقًّا».

فقال المسلمون: يا رسول الله أتنادي قوماً قد جيفوا؟

فقال صلى الله عليه وآله: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، و لكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني».

و لمّا كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته، فشدّ عليها رحلها، ثمّ مشى و تبعه أصحابه، و قالوا: ما نرى ينطلق إلّا لبعض حاجته، حتى قام على شفى الرّكي (على طرف البئر. وفي رواية: شفير) فجعل يناديهم بأسمائهم و أسماء آبائهم:

«يا فلان بن فلان و يا فلان بن فلان، يسرّكم أنكم أطعتم الله و رسوله، فإنّا قد وجدنا ما وعدنا ربّنا حقًّا، فهل وجدتم ما وعد ربّكم حقًّا»؟

فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها؟

فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله: «والذي نفس محمد بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم».

قال قتادة: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخاً و تصغيراً و نقمةً و حسرةً و ندماً!

و قد رجح الحافظان ابن كثير و ابن حجر أنَّ الله أحياهم حتى سمعوا كلامه توبيخاً و تصغيراً و حسرةً و ندماً!

و أمية بن خلف، يُقال: لم يكن في القليب؛ لأنه كان ضخماً فانتفخ، فألقوا عليه من الحجارة و التراب ما غيبه. و على فرض صحّة هذا، لكنّه قد يكون قريباً من القليب، فنودي فيمن نودي، فهو من جملة رؤسائهم.

يقول هيكل: فقد كان يرى الحقَّ من أنَّ الموت انتقالٌ من حياة الدنيا إلى حياة الآخرة، و أنَّ الذين ينتقلون من بيننا يبقى اتصالهم بنا حتى ليسمعوننا، و إن كانوا لا يتحدثون فلا يستطيعون أن يجيبونا؛ لذا سمعه أصحابه جوف الليل بعد أن نصر الله المسلمين ببدر يُناجي المشركين الذين قُتلوا في المعركة، و دُفنوا في القليب الذي حفره المسلمون لهم و هو يقول: «يا أهل القليب! يا عتبة بن ربيعة، يا أمية بن خلف، يا أبا جهل بن هشام، يا» (واستمر يذكرهم بأسمائهم). يا أهل القليب هل وجدتم ما وعدكم ربّكم حقًّا؟! فإني وجدتُ ما وعدني ربّي حقًّا». قال المسلمون: «يا رسول الله، أتنادي قومًا جَيَّفوا»؟! فكان جوابه: «ما أنتم بأسمعَ لما أقوله منهم، لكنهم لا يستطيعو أن يُجيبوني».[1]

أذكر هذا؛ ليتضح أنَّه: شتّان بين هذا الموقف لرسول الله صلى الله عليه وآله مع من طرح في القليب، و موقف آخر له صلى الله عليه وآله حيث مواقع الشهداء: شهداء بدر و شهداء أُحد... و على أهل البقيع، قوامه السلام و الاستغفار و الدعاء و الترحيم؛ فالفرق عظيم بين الموقفين و المشهدين.

فنراه صلى الله عليه وآله يقف على شهداء وقعة أُحد بنظرات حانية تملأ ساحة المعركة يودّعهم و ينعاهم و يُؤبنهم و يُثني عليهم: ﴿**مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ اللَّهَ عَلَيْهِ**﴾[2] و قال: إنَّ رسول الله يشهد أنَّكم الشهداء عند الله يوم القيامة. ثمَّ أقبل على أصحابه الأحياء و هم وقوف حوله، و قال صلى الله عليه وآله: «أيها الناس زوروهم، و أتوهم و سلموا عليهم، فوالذي نفسي بيده، لا يسلم عليهم مسلم إلى يوم القيامة، إلّا ردّوا عليه السلام».[3]

---

١. محمد حسين هيكل، في منزل الوحي: جَنّة البقيع.

٢. سورة الأحزاب: ٢٣.

٣. المتقي الهندي، كنز العمال ١٠: ٣٨٢.

هـذا ، فضـلاً عـن زياراته صلى الله عليه وآله عـلى رأس كلّ حـول لقبور شـهداء أُحـد ، و فيهم عمُّه حمـزة بـن عبـد المطلـب ، سـيد الشـهداء ، الـذي أُستشـهد يـوم أحـد ، فـكان النبـيُّ صلى الله عليه وآله يزورهـم ، و يقـول: «سـلام عليكـم بـما صبرتم فنعـم عقبى الـدار».

و كان صلى الله عليه وآله يقف عليهم ، و يكرّر قوله: «أشـهد أنكم أحياء عند الله فزوروهم و سـلموا عليهـم ، فوالذي نفسي بيده لا يسـلم عليهم أحـد ، إلّا ردّوا عليه إلى يوم القيامة».

و زيارتـه صلى الله عليه وآله لقبـور أُخرى ، فعـن طلحة بن عبيـد الله قال: خرجنا مع رسـول الله صلى الله عليه وآله يريـد قبـور الشـهداء ، حتى إذا أشرفنا على حـرّة واقم ، فلمّا تدلينا منهـا و إذا قبور بمحنية، قـال: قلنـا يا رسـول الله أقبـور إخواننـا هذه؟ قـال صلى الله عليه وآله: «قبـور أصحابنا». فلـمّا جئنا قبور الشـهداء قال صلى الله عليه وآله: «هذه قبـور إخواننا».

و أمـا عـن زياراتـه صلى الله عليه وآله لقبـور البقيـع ، فـإنَّ محمـد حسـين هيـكل يضـع سـؤالاً عن زياراتـه صلى الله عليه وآله المتكـررة للبقيـع ، و يجيـب عنه: كم مـرّة جاء رسـول الله صلى الله عليه وآله إلى هـذا المكان؟ عـشرات المـرّات ، فقـد كان يجـيء إليـه كلّـما مـات صاحـبٌ مـن أصحابـه ، يُصَـلِّي عليه و يقـف حتى يـواري جثمانه الـتراب ، و كان يجيء وحـده أحيانًا و مع أصحـاب له أحيانًا أخـرى لغـير شيء إلّا للصـلاة على مَـن في البقيع و الاسـتغفار لهم و مناجاتهم. ثـمَّ يقول: و كثـيرًا مـا ناجَـى أهل البقيـع من أنصـاره ، الذيـن استُشـهدوا في سـبيل الله ، و كان آخر ذلـك حـين مرض مرضـه ، الـذي اختار الرفيـق الأعلى عـلى أثره ، فقـد أرِق ليلـةً أول ما بـدأ يشـكو ، فخـرج و معـه مـولاه أبـو مُوَيْهِبـة ، و ذهـب إلى البقيـع ، فوقـف بـين المقابر و قـال يخاطـب أهلهـا: «السـلام عليكم يـا أهـل المقابـر، ليهنئ لكم مـا أصبحتـم فيه مما أصبـح النـاس فيـه ، أقبلـتِ الفِتَنُ كقطع الليـل المظلم يتبع آخرهـا أولها ، الآخـرة شَرٌّ من الأولى» ثـمّ اسـتغفر الله لهم.

يقـول الخليـلي: لذلـك كـبر شـأن البقيـع ، و كثـر رواده بقصـد الدعـاء و الاسـتغفار و اتسـعت رقعـة البقيع و عظم شـأنها حتى قيـل: إنَّ عدد الذيـن دفنوا فيها مـن الصحابة

كان عشرة آلاف صحابي.

و حتى صارت ـ كما يقول ابن جبير في رحلته ـ مشاهد هذا البقيع أكثر من أن تحصى ؛ لأنه مدفن الجمهور الأعظم من الصحابة المهاجرين و الأنصار.

و كيف لا يكون البقيع مدفناً لهم و لمن يأتي بعدهم ، و رسول الله ﷺ كان يُكثر من زيارة البقيع في الـ ـل و النهار ، يستغفر للموتى ، و يُصلي عليهم ، وفاءً لهم و محبةً و خوفاً عليهم ، حتى أنّه ورد عنه: «إني بعثتُ إلى أهل البقيع ؛ لأصلّي عليهم»،«إني أُمرتُ أن أدعو لهم»،«اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد».

و كم أولئك موفّقون أن يقف عليهم رسول الله ﷺ يُصلي عليهم ، يدعو لهم و قد روي عنه ﷺ أنّه قال: «إنَّ هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها ، و إنَّ الله يُنورها لهم بصلاتي عليهم»!

إذن كان يكثر من الذهاب إلى مقبرة البقيع ، فلا يترك زيارته ، و لا يتأخر عن تشييع جنازة فيه.

فهذا الصحابي الجليل سلمان رضوان الله عليه ، كان إسلامه في بقيع الغرقد كما يبدو من خبره ، حدث هذا و هو يتثبت من رسالة محمد ﷺ فيقول: «... ثمّ رجعت فمكثت ما شاء الله ، ثمّ أتيته فوجدته في بقيع الغرقد ، و قد تبع جنازة و حوله أصحابه، و عليه شملتان مؤتزراً بواحدة مرتدياً بالأخرى ، قال: فسلمت عليه ، ثمَّ عدلت لأنظر في ظهره ، فعرف أني أُريد ذلك و استثبته ، فألقى بردته عن كاهله ، فإذا العلامة بين كتفيه ، خاتم النبوة ، كما وصفه لي صاحبي ، فأكببتُ عليه ، أقبل الخاتم من ظهره و أبكي ، أو فنظرتُ إلى خاتم النبوة ، كما وصفه لي صاحبي ، فأكببتُ عليه أقبّله و أبكي؛ ثمّ دعاني عليه الصلاة و السلام ، فجلستُ بين يديه ، و حدّثتُه حديثي ثمَّ أسلمتُ...».

و هذه عائشة تقول: كلّما كانت ليلتي من رسول الله ﷺ ، و قولها: كلّما كانت ليلتي، تقتضي التجدُّد و الاستمرار ؛ لأنها لفظة من ألفاظ العموم ، ممّا يدلّ على تكرار

الزيارة و استمرارها.

يخرج في آخر الليل إلى البقيع، فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، و إنا و إياكم متواعدون غداً أو مواكلون، و إنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد».

و في خبر عنها: يخرج من آخر الليل إلى البقيع، فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، و أتاكم ما توعدون، غداً مؤجلون، و إنا إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد». و في رواية مثله إلّا أنّه قال: «السلام عليكم ديار قوم مؤمنين، و إنا بكم لاحقون، أنتم لنا فرط، اللهم لاتحرمنا أجرهم و لاتفتنا بعدهم». «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، و أتاكم ما تُوعدون، غداً مؤجَّلون، و إنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد».

و في حديث طويل للنبيّ صلى الله عليه وآله عن عائشة: قال صلى الله عليه وآله: «فإنَّ جبريل أتاني حين رأيت فناداني، فأخفاه منك، فأجبته، فأخفيته منك. فقال: إنَّ ربّك يأمرك أن تأتي أهل البقيع، فتستغفر لهم». قالت: قلت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وآله: «قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين و المسلمين، و يرحم الله المستقدمين منّا و المستأخرين، و إنّا إن شاء الله بكم للاحقون».

و مِن فضائل البقيع، أنَّ اللهَ تعالى أمرَ نبيَّه صلى الله عليه وآله أنْ يأتيَه، و يستغفرَ لأهلهِ فكانَ النبيُّ صلى الله عليه وآله يأتي هذا البقيع المبارك باستمرار، و يسلِّم على أهلهِ، و يدعو لهم.

و عنها قالت: قام رسولُ الله صلى الله عليه وآله ذات ليلة، فلبس ثيابه، ثمّ خرج، قال: فأمرتُ جاريتي بريرة تتبعه، فتبعته حتَّى جاء البقيع. فوقف في أدناه ما شاء الله أن يقف، ثمَّ انصرف، فسبقته بريرة، فأخبرتني. فلم أذكر له شيئًا حتَّى أصبح، ثمَّ ذكرتُ ذلك له. فقال: «إنِّي بُعثتُ إلى أهلِ البقيعِ لأصلِّي عليهم».

و عنها قالت: فقدته «تعني النبيَّ صلى الله عليه وآله، فإذا هو بالبقيع، فقال: «السلامُ عليكُم

دارَ قـومٍ مؤمنـين ، أنتـمْ لنَـا فرطٌ و إنَّـا بكُم لاحقُـون ، اللهـمَّ لا تحرمنَا أجرَهـم و لا تفتنَا بعدَهم» .

و عـن أبي مويهبـة «مولى رسـولِ اللهﷺ» ، قال: أُمرَ رسـولُ اللهﷺ أنْ يصـلِّي على أهلِ البقيـع ، فصـلَّى عليهم رسـولُ اللهﷺ ليلة ثـلاث مرَّات ، فلـمَّا كانت ليلـة الثانية قالﷺ: «يـا أبـا مويهبـة ، أسرج لي دابتـي»، قـال: فركـب ، و مشـيتُ حتـى انتهى إليهـم فنزل عن دابتـه ، و أمسـكت الدابـة ، و وقـف عليهـم ، أو قال: قام عليهـم ، فقـالﷺ: «ليهنكُم مَا أنتـمْ فيـه ممَّـا فيه النَّـاسُ ، أتت الفتنُ كقطـعِ الليلِ يركـبُ بعضُها بعضًا ، الآخرةُ أشـدُّ من الأولى ، فلينهكُـم مَـا أنتـمْ فيـه» . ثـمّ رجـع فقالﷺ: يـا أبا مويهبـة ، إني أعطيـت أو قال: خُـيِّرت مفاتـح مـا يفتح عـلى أمَّتي من بعـدي و الجنَّـة ، أو لقـاء ربّي» . فقلتُ: بـأ و أمّي يـا رسـولَ الله ، فأخـبرني ، قـال: لأن تـرد عـلى عقبهـا ما شـاء الله، فاخـترت لقـاء ربّي عزَّ و جلَّ» .

و أنَّ أهـل البقيـع أنَّهـم يكونون أوَّل أهـل المقابر حشرًا. يبعث من أهل البقيع سـبعون ألفًـا يدخلون الجنَّة بلا حسـاب» .

أو أنَّ اللهَ ـ سـبحانه و تعـالى ـ سـيبعثُ منه يوم القيامة سـبعين ألفًـا ، وجوههم كالقمر ليلـة البـدر ، يدخلون الجنة بغير حسـاب.

عـن علقمـة بـن أبي علقمـة عـن أمّه ، عـن عائشـة: أنَّ رسـول اللهﷺ قـام ذات ليلة ، فلبـس ثيابـه ، ثـمّ خرج. قالـت: فأمرت جاريتـي بريرة تتبعـه ، فتبعته ، حتى جـاء البقيع، فوقـف في أدنـاه مـا شـاء الله أن يقف ، ثـمّ انصرف ، فسـبقته بريـرة ، فأخبرتنـي فلم أذكر لـه شـيئاً حتـى أصبح ، ثم ذكـرت ذلك لـه ، فقـالﷺ: «إني بعثت إلى أهـل البقيع لأصلّي عليهم» .

و عنهـا أنَّ رسـول اللهﷺ كان يخـرج إلى البقيـع ، فيدعو لهم ، فسـألته عـن ذلك فقال: «إني أمـرت أن أدعو لهم».

و في رواية: «إني أمرت أن آتي أهل البقيع ، فأدعو لهم ، و أصلّي عليهم».

ما روت أمُّ قيس بنت محصن الأنصارية عن النبيِّ صلى الله عليه وآله. حدثنا يونس قال: حدثنا أبو داود قال: حدثنا عاصم المدني مولى نافع مولى أمّ قيس بنت محصن الأسدي عن نافع قال: أخبرتنا أمُّ قيس بنت محصن قالت: ... حتى انتهينا إلى بقيع الغرقد ، فقال: «يا أمَّ قيس! فقلتُ: لبيك يا رسول الله و سعديك! قال: ترين هذه المقبرة؟ قالت: نَعم يا رسول الله! قال: يبعث منها سبعون ألفاً وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب».

فقام رجل فقال: يا رسول الله و أنا. قال: و أنت. فقام آخر فقال: و أنا يا رسول الله. قال: سبقك بها عكاشة.

و في حديث الحسن: أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله قام على أهل البقيع ، فقال: «السلام عليكم يا أهل القبور من المؤمنين و المسلمين. لو تعلمون ما نجاكم الله منه ممّا هو كائن بعدكم». ثمّ نظر إلى أصحابه ، فقال: هؤلاء خير منكم. قالوا: يا رسول الله ، و ما يجعلهم خيراً منّا؟ قد أسلمنا كما أسلموا ، و هاجرنا كما هاجروا ، و أنفقنا كما أنفقوا فما يجعلهم خيراً منا؟ قال: إنَّ هؤلاء مضوا لم يأكلوا من أجورهم شيئاً ، و شهدت عليهم. و إنكم قد أكلتم من أجوركم بعدهم ، و لا أدري كيف تفعلون بعدي»؟

هذا و ذكروا في الزيارة الشرعية ما جاء مفرَّقًا في الأحاديث الثابتة ، و لا خلاف عليه ، أنَّه إذا جئت القبر أن تقبر و تتأدب ، و تتمثل روح صاحب القبر و استقبله قائلًا ما علّمنا الرسول صلى الله عليه وآله: «**السلام عليكم دارَ قوم مؤمنين ، و إنَّا إن شاء الله بكم لاحقون ، السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين و المؤمنات ، و المسلمين و المسلمات ، أنتم سلفنا و نحن بالأثر ، نسأل الله لنا و لكم العافية ، اللهم ربّ هذه الأجساد البالية، و العظام النخرة ، و الأرواح الباقية التي خرجت من الدنيا و هي بك مؤمنة ، أدخل عليها روحًا منك و سلامًا منّا ، اللهم لا تحرمنا أجرهم و لا تفتِنَّا بعدهم و اغفر اللهم لنا و لهم**».

كما أنَّ من فضائل البقيع :

أنَّ أهلَه هم أولُ من يُحشر من مقابر الأرض ، هذا فضلاً عما ورد في عموم قبور أهل المدينة ، و مقبرة البقيع واحدة منها ، فعن عبدالله بن عباس ، قال: مرَّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله بقبورِ أهلِ المدينة ، فأقبلَ عليهم بوجهِهِ ، فقال: «السلامُ عليكُم يَا أهلَ القبورِ ، و يغفرُ اللهُ لنَا و لكُم ، أنتمْ لنَا سلفٌ ، و نحنُ بالأثرِ».

و عن أبي هريرة أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله خرج إلى المقبرة ، فقال: «السلامُ عليكُم دارَ قومٍ مؤمنِين ، إنَّا إنْ شاءَ اللهُ بكُم لاحقُون.[1]

روايات أهل البيت عليهم السلام :

عن محمد بن أحمد ، عن موسى بن عمران ، عن عبد الله الحجال، عن صفوان الجمال ، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخرج في ملإٍ من الناس من أصحابه كلَّ عشية خميس إلى بيع المدنيين ، فيقول ثلاثاً:

السلام عليكم يا أهل الديار، وثلاثاً: رحمكم الله! ثمّ يلتفت إلى أصحابه ، ويقول: هؤلاء خير منكم». فيقولون: يا رسول الله و لِمَ، آمنوا و آمنا ، و جاهدوا و جاهدنا؟! فيقول: إنَّ هؤلاء آمنوا و لم يلبسوا إيمانهم بظلم ، و مضوا على ذلك ، و أنا لهم على

---

١ . انظر في هذا كله ابن سعد، في الطبقات٣ : ١٢٠ـ١٢١ ؛ تاريخ المدينة، لابن شبّه١ : ٨٦ ـ ١٣٣ ؛ محمد حسين هيكل في كتابه منزل الوحي ؛ حياة محمد، لمحمد حسين هيكل، الفصل الثلاثون: مرض النبيِّ ووفاته : ٤٩٨ ؛ موسوعة العتبات المقدسة ٣ : ١٠٢ ؛ عن آثار المدينة المنورة : ١٢٢، ١٧٦ لعبد القدوس الأنصاري ؛ مرآة الحرمين١ : ٤٢٥ ؛ رحلة ابن جبير: ١٥٣ وما بعدها ؛ وكتاب في مدينة الرسول صلى الله عليه وآله، للدكتور نزار أباظة: المقبرة : ٥٠ ؛ رجال حول الرسول صلى الله عليه وآله، خالد محمد خالد ؛ صحيح مسلم، كتاب الطهارة وكتاب الجنائز ؛ المعجم الكبير، للطبراني١٢ : ٢٢، ٣٠٥ :٣٤٦ ؛ و ٣٤٧ ؛ الموطأ١ : ٢٤٢؛ النسائي٤ : ٩١، ٩٣ ؛ المصنف، لعبد الرزاق٣ :٥٧٥ ؛ مسند أحمد ١ : ١٦١؛ السنن الكبرى، للبيهقي٤ : ٧٩ و ٥ : ٢٤٩ ؛ الإصابة في تمييز الصحابة٤ : ٤٤٠ .

ذلك شهيد، و أنتم تبقون بعدي، و لا أدري ما تحدثون بعدي».

عن جعفر بن محمد بن قولويه في (المزار) عن محمد الحسن، عن محمد بن أحمد، عن موسى بن عمر، عن عبد الله بن محمد الحجال، عن صفوان الجمال قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخرج في ملإٍ من الناس من أصحابه كلَّ عشية خميس إلى بيع المدنيين فيقول: السلام عليكم يا أهل الديار (ثلاثاً)، رحمكم الله (ثلاثاً)...».

و حدث محمد بن عيسى عن خالد عن عوسجة قال: كنت أدعو ليلة إلى زاوية دار عقيل بن أبي طالب التي تلي باب الدار فمرّ بي جعفر بن محمد عليه السلام، فقال لي: «أعن أثر وقفت هاهنا؟ قلت: لا. قال: هذا موقف نبيِّ الله صلى الله عليه وآله بالليل إذا جاء يستغفر لأهل البقيع».[1]

حتى في مرضه صلى الله عليه وآله:

زياراته صلى الله عليه وآله لبقيع الغرقد؛ للأرواح التي حلّت فيه، لم تنقطع، لم يتركها حتى في مرضه الأخير الذي تُوفي بسببه، فعن: ابن إسحاق أنه قال: فبينا الناس على ذلك، ابتدئ رسول الله صلى الله عليه وآله بشكواه الذي قبضه الله فيه، إلى ما أراد به من كرامته و رحمته، في ليال بقين من صفر، أو في أول شهر ربيع الأول، فكان أول ما ابتدئ به من ذلك، فيما ذكر لي، أنه خـ إلى بقيع الغرقد، من جوف الليل، فاستغفر لهم، ثمّ رجع إلى أهله، فلمّا أصبح ابتدئ بوجعه من يومه.

و عن الشيخ المفيد: ... إذ عرضت له الشكاة التي توفي فيها، فلمّا أحسَّ بالمرض الذي عراه، أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام، و اتبعه جماعة من الناس و توجه

---

١. كامل الزيارات: ٣٢٩ـ ٥٣٠، الباب ١٠٥ ح ٦؛ وسائل الشيعة ٣: ٢٢٤ الباب ٥ ح ٣٤٦٩؛ موسوعة العتبات المقدسة، لجعفر الخليلي ٣: ١٠٢ عن الدرة الثمينة في تاريخ المدينة لابن النجار: ٤٠٢.

إلى البقيع، فقال لمن تبعه: «إنني قد أمرت بالاستغفار لأهل البقيع». فانطلقوا معه حتى وقف بين أظهرهم. فقال عليه السلام: «السلام عليكم يا أهل القبور، ليهنئكم ما أصبحتم فيه مما فيه الناس، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع أولها آخرها»، ثمّ استغفر لأهل البقيع طويلاً. و أقبل على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال صلى الله عليه وآله: «إنَّ جبرئيل عليه السلام كان يعرض عليَّ القرآن كل سنة مرة، و قد عرضه عليَّ العام مرتين، و لا أراه إلّا لحضور أجلي».

عن أبي مويهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله من جوف الليل فقال: «يا أبا مويهبة إني قد أمرت أن استغفر لأهل البقيع، فانطلق معي» فانطلقت معه، فلمّا وقف بين أظهرهم قال: «السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح فيه الناس، لو تعلمون مانجاكم الله منه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع أولها آخرها، الآخرة شرّ من الأولى». قال: ثم أقبل عليَّ، فقال صلى الله عليه وآله: «يا أبا مويهبة، إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا الخلد فيها، ثم الجنة، و خيرت بين لقاء ربّي عزَّ وجلَّ والجنة». قال: قلت: بأبي أنت و أمّي، فخذ مفاتيح الدنيا و الخلد فيها ثمّ الجنة. قال صلى الله عليه وآله: «لا والله يا أبا مويهبة، لقد اخترت لقاء ربّي و الجنة». ثمَّ استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف، فبُدئ رسول الله صلى الله عليه وآله في وجعه الذي قبضه الله عزَّ وجلَّ فيه حين أصبح.

و في خبر آخر عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله نه لما أحسَّ بالمرض الذي عراه، أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام، و اتبعه جماعة من الناس، و توجه إلى البقيع، فقال للذي اتبعه: «إنني قد أمرت بالاستغفار لأهل البقيع». فانطلقوا معه حتى وقف بين أظهرهم، و قال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين و المسلمين، يرحم الله المستقدمين منّا و المستأخرين، إنا إن شاء الله بكم لاحقون، و أتاكم ما توعدون، غداً مؤجلون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد، اللهم لاتحرمنا أجرهم، و لا تفتنا بعدهم، أنتم لنا فرط و نحن لكم تبع، نسأل الله لنا و لكم العافية».

ثـمّ اسـتغفر لأهل البقيـع طويلاً.

و تحـت عنـوان: الاسـتغفار لأهـل البقيـع ؛ يقـول صاحـب كتـاب المقتفـى: أُمـر النبـيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أن يسـتغفر لأهـل البقيـع ، و أتـاه الآتي بذلـك ، و هـو في بيته ضجيـع ، فخرج في جـوف الليـل ، و اسـتغفر لهم طويـلاً ، وصلّى عليهـم بإذن مَـن أمره أن يتخـذه وكيلاً، وهنّأهـم بـما أصبحـوا فيـه ، ، وذكـر مـن إقبـال الفتن ، مـا لا يمكـن تلاقيـه ، وعرف من كان معـه مـن صحبـه ، أنَّه خـيّر بين الدنيـا والآخرة ، فاختار لقـاء ربِّه ، ثمَّ صـلّى على أهل أُحـد، كالمـودّع للأحيـاء و الأمـوات ، فلمّا انصـرف لازمه الوعـك ، إلى أن علـت بوفاته الأصوات!

قبـل الوفـاة أتـى النبـيُّ مودعًـا ... أهـلَ البقيـعِ مُصلِّيًـا مسـتغفرَا
و اختـار لقيـا ربِّـه سـبحانه ... في جنّـة الفـردوس لمـا خـيّرا

و عـن خطـاب النبـيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أهل المقابـر في آخر حياته المباركـة ؛ يقول هيـكل: أرق النبيُّ محمـد ليلـة أول مـا بدأ يشـكو و طـال أرقه ، و حدثته نفسـه أن يخـرج في ليل تلـك الأيام ، أيـام الصيـف الرقيقة النسـيم ، فيما حـول المدينة ، و خرج و لم يسـتصحب معه أحـداً ، إلّا مـولاه أبـا مويهبـة ، أفتـدري أين ذهـب؟ ذهب إلى بقيـع الغرقـد ، حيث مقابر المسـلمين عـلى مقربـة مـن المدينـة ، فلـمّا وقـف بـين المقابر قـال يخاطـب أهلهـا: «السـلام عليكم يا أهـل المقابـر ، ليُهنـئ لكـم مـا أصبحتم فيـه ، ممّا أصبـح الناس فيـه ، أقبلـت الفتن كقطع الليـل المظلـم ، يتبـع آخرها أولَهـا ، الآخرة شرٌّ مـن الأولى».

حـدّث أبـو مويهبـة أنّ النبي قال لـه أول ما بلغـا بقيع الغرقـد: «إني أُمرت أن أسـتغفر لأهـل هـذا البقيع ، فانطلـق معي».

فلـما اسـتغفر لهـم و آن لـه أن يـؤوب ، أقبل عـلى أبي مويهبة ، فقـال له: «يـا أبا مويهبة ، إنّي قـد أُوتيـت مفاتيـح خزائـن الدنيـا ، الخلـود فيها ثمّ الجنـة ، فخيرت بـين ذلك و بين لقـاء ربّي و الجنّـة»! قال أبـو مويهبة: بأبي أنـت و أُمّي! فخـذ مفاتيح خزائـن الدنيا و الخلد

فيهـا ثـمّ الجنّـة! قال محمـدﷺ: «لا والله يا أبـا مويهبة، لقد اخـترتُ لقـاء ربّي و الجنّة».

تحـدث أبـو مويهبة بـما رأى و ما سـمع، لأنَّ النبيَّ بدأ يشـكو المرض غـداة تلك الليلة التـي زار فيها البقيع.

ذكـر هـذا في كتابـه: حياة محمـد، فيما ذكـر نظيراً لذلـك في كتابه الآخر منـزل الوحي، فقـال: و كثـيرًا ما ناجَى أهـل البقيع من أنصـاره، الذين استُشـهدوا في سـ ـبل الله، و كان آخـر ذلـك حـين مرض مرضـه الذي اختـار الرفيق الأعـلى على أثـره، فقد أرِق ليلـةً أول مـا بدأ يشـكو، فخـرج و معه مـولاه أبـو مُوَيْهِبـة، و ذهب إلى البقيـع فوقف بـين المقابر، و قـال يخاطـب أهلهـا: «السـلام عليكـم يا أهـل المقابـر، ليهنئ لكم مـا أصبحتـم فيه مما أصبـح النـاس فيـه، أقبلـتِ الفِتَنُ كقطـع الليل المظلـم يتبع آخرهـا أولها الآخـرة شَرٌّ من الأولى، ثـمّ اسـتغفر الله لهم».

فلعـلَّ مـن ذلـك كلّه نتبـين مشروعية زيـارة قبـور الموتى، بشـكل عام، و زيـارة بقيع الغرقـد بشـكل خـاص؛ لمـا نالـه مـن فضائـل و تأكيـد و اهتمام مـن رسـول اللهﷺ حتى أنَّـه حظـى بـما لم تحظ به مقـبرة أُخـرى، فزيارتـه إضافـةً إلى كونهـا اقتداءً برسـول اللهﷺ و اتّباعـاً لسـيرته و سـنّته، فلقـد كان يـزور البقيع ليـلاً و نهـارًا، يدعو و يسـتغفر لأهله، و حتـى علّـم الزائريـن بأن يقولـوا حال الزيـارة كما فيما جاء مـن حديث عائشـة، و فيه ما نُسـب إلى رسـول اللهﷺ أنَّـه قـال: «عن جبريـلعليه السلام: إنَّ ربَّكَ يأمـرُك أنْ تأتِي أهـلَ البقيعِ فتسـتغفرَ لهُـم». قالـت عائشـة: كيـفَ أقولُ لهـم يا رسـولَ الله؟ قـالﷺ: قولي: «السـلامُ عليكـم أهـلَ الديار من المؤمنين و المسـلمين، و يرحم الله المسـتقدمين منّا و المسـتأخرين، و إنا إنْ شـاء الله بكـم لاحقون».

لقـد تميَّـز بقيـعُ المدينـة عـن المقابـر الأخـرى بأهـمّ ميـزة، ألا و هـي أنّـه كان موضعاً مبـاركاً بكثـرة زيارتـهﷺ لـه في ليـلٍ يـزوره أو في نهـارٍ؛ يدعـو لأهلـه، و لهـم يسـتغفر.

كـما أنَّ زيارتهـم تُذكّـر الزائـر، لا فقط بالآخرة، فـيرقّ قلبه، و تدمـع عينه حين يتذكر

الانتفاع بزيارة القبور و الموتى :

حقّاً ، و كما جاء في الحديث أعلاه: ... زيارةِ القبورِ... أنَّها ترقّ القلب، و تدمع العين ، و تذكِّر الآخرة.

فقد استوقفني هذا الحديث ؛ لأقف عند ما تعنيه زيارة القبور ؛ زيارة الموتى ، و عمّا تحقّقه من المنافع.

فأقول :

تنبيهاً للعقول عن غفلاتها ، و تذكيراً لها بأهوال يوم القيامة ، و ترقيقاً للقلوب، و تزكيةً للنفوس و وعظاً لها ، و تزهيداً بالدنيا ، و ترغيباً بجنان الآخرة ، و شحذاً للهمم في ترك المعا و فعل الطاعات. فضلاً عما يكون للموتى ، لأرواحهم من الانتفاع بدعاء الزائري و استغفا م و الترحم عليهم. فلعلَّ هذا ممّا تحقّقه زيارة القبور.

---

١. انظر مسلماً في صحيحه ؛ وأحمد في مسنده١١ : ٥٧ ؛ والنسائي ؛ الترمذي ؛ وأبا داود في سننها ؛ ومالكاً في الموطإ؛ وانظر السيرة النبوية، لابن هشام ٤ : ٣٨٥ ؛ كتاب الإرشاد، للشيخ المفيد١ : ١٨١ ؛ سنن الدارمي، لعبد الله بن عبد الرحمن الدرامي، تحقيق فواز أحمد وخالد السبع: ٢١٥ ؛ ووفاء الوفاء، للسمهودي (ت٩١١هجرية) : ٧٩ ؛ وكتاب المقتفى من سيرة المصطفى، ابن حبيب الحلبي، المحقق: د. مصطفى محمد حسين الذهبي ؛ محمد حسين هيكل في كتابيه: منزل الوحي، جنّة البقيع:٥١٢، وحياة محمد، الفصل الثلاثون: مرض النبيِّ ووفاته: ٤٩٨ ؛ موسوعة العتبات المقدسة، لجعفر الخليلي، البقيع .

و بعد هذا التلخيص لما تحقّقه زيارة القبور من منافع للزائر و المزور، نأتي لما يقوله بهذا الخصوص كلٌّ من:

الفخر الرازي:

و حول الانتفاع بزيارة القبور و الموتى، يقول الرازي بعد ذكره لثلاث مقدمات: إنَّ الإنسان إذا ذهب إلى قبر إنسان، قوي النفس، كامل الجوهر شديد التأثير، و وقف هناك ساعة، و تأثرت نفسه من تلك التربة. حصل لنفس هذا الزائر تعلق بتلك التربة.

و قد عرفت: أنَّ لنفس ذلك الميت تعلق (تعلقاً) بتلك التربة أيضاً. فحينئذ يحصل لنفس هذا الزائر الحيّ، و لنفس ذلك الإنسا الميت ملاقاة، بسبب اجتماعهما على تلك التربة. فصارت هاتان النفسان شبيهتان (شبيهتين) بمرآتين صقيلتين، وضعتا بحيث ينعكس الشعاع من كلّ واحدة منهما إلى الأخرى. فكلُّ ما حصل في نفس هذا الزائر الحي من المعارف البرهانية، و العلوم الكسبية، و الأخلاق الفاضلة من الخضوع لله تعالى، و الرضا بقضاء الله تعالى، ينعكس منه نور إلى روح ذلك الإنسا الميت، و كلُّ ما حصل في نفس ذلك الإنسان من العلوم المشرفة، و الآثار القوية الكاملة، فإنه ينعكس منها نور إلى روح هذا الزائر الحي. و بهذا الطريق تصير تلك الزيارة سبباً لحصول المنفعة الكبرى، و البهجة العظمى لروح الزائر، و لروح المزور. ثمَّ يقول: فهذا هو السبب الأصلي في شرعية الزيارة. و لا يبعد أن يحصل فيها أسرار أخرى أدقّ و أغمض (وأخفى، و أحقّ) مما ذكرناه. و تمام العلم بحقائق الأشياء ليس إلّا عند الله سبحانه و تعالى.[1]

---

١. انظر المطالب العالية من العلم الإلهي، للفخر الدين الرازي ٧ : ٢٧٥ـ٢٧٧ ؛ الفصل الثامن عشر في بيان كيفية الانتفاع بزيارة القبور و الموتى.

و محمد حسين هيكل:

و بعد أن يسأل: كم مرة جاء رسول الله ﷺ إلى هذا المكان؟ فيُجيب: عشرات المرات، ثمَّ يُبين السبب و الهدف من زياراته ﷺ فيقول: فقد كان يجيء إليه كلما مات صاحبٌ من أصحابه، يُصَلِّي عليه، و يقف حتى يواري جثمانه التراب.

و كان يجيء وحده أحيانًا، و مع أصحاب له أحيانًا أخرى، لغير شيء إلّا للصلاة على مَن في البقيع و الاستغفار لهم و مناجاتهم.

و هنا يقول هيكل كلاماً رائعاً عن رسول الله ﷺ و زياراته للموتى في البقيع:

فقد كان يرى الحقَّ من أنَّ الموت انتقالٌ من حياة الدنيا إلى حياة الآخرة، و أنَّ الذين ينتقلون من بيننا يبقى اتصالهم بنا حتى ليسمعوننا، و إن كانوا لا يتحدثون، فلا يستطيعون أن يجيبونا.

و كثيرًا ما ناجَى أهل البقيع من أنصاره الذين استُشهدوا في سبيل الله، و كان آخر ذلك حين مرض مرضه الذي اختار الرفيق الأعلى على أثره، فقد أرِق ليلةً أول ما بدأ يشكو فخرج و معه مولاه أبو مُوَيْهِبة و ذهب إلى البقيع فوقف بين المقابر، و قال يخاطب أهلها: «السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهنئ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلتِ الفِتَنُ كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها، الآخرة شَرٌّ من الأولى» ثم استغفر الله لهم.

و يواصل هيكل كلامه قائلاً: و هذه آية من رسول الله في السمو بالتفكير على الزمان و المكان، و في مقدرة مَن وهبه الله ما وهب رسوله أن يتصل بمن شاء الله أن يتصل بهم ممن يحجبهم الزمان و المكان، و لقد يسَّر لنا العلم أن ندرك اليوم شيئًا من هذا حين يسر لنا أن نصل على المكان بمن شئنا عن طريق الأثير و الإذاعة، و ما يزالُ علماء يحاولون حلّ مشكلة الزمان بالاتصال بأرواح الذين سبقونا، و مَن يدري! فلعلّ العلم يطوِّع لنا أن نتصل بهم يومًا في يُسْرٍ كما نتصل اليوم بمن في أقصى الأرض،

أن نراهم طَيَّ القرون كما نرى عن طريق «التلفزيون» مَن تحجب البحار و الجبال و القارات بيننا و بينهم.[1]

و اتخذوا لهم دوراً في بقيع الغرقد :

لقد كان البقيع محلَّ اهتمام كبير من قبل المسلمين و بالذات الصحابة و مَن جاء بعدهم من التابعين ، و كم كانت أمانيهم عظيمة أن يُدفنوا فيه ، و لا يحرموا من فضائله ؛ و ممّا ورد فيه من خير و ثواب و شفاعة رسول الله ﷺ و استغفاره لأهله سواء الذين كانوا في العصر الأول للإسلام أم الذين دفنوا به بعدهم إلى آخر الدنيا كما يبدو ، بمعنى لم يكن دعاء رسول الله ﷺ و شفاعه و استغفاره لأهل مقبرة بقيع الغرقد مخصوصاً بمن دُفن من تلك الأُمّة و مازال و سيبقى المسلمون بآلافهم يزورون بقيع الغرقد ، و يتنقلون بين قبوره إطاعةً لرسول الله ﷺ في حثّه على مواصلة زيارته و اقتداءً به ﷺ و ابتغاءً للثواب و حبًّا للأجر ، و إحياءً لذكرى من دفن فيه و حفظاً لآثارهم و تذكراً لمسيرتهم.

و إن لم تكن هذه البقعة تستحق كلَّ تكريم لما كان رسول الله ﷺ يضفي عليها كلَّ هذه الفضائل و الدرجات العليا ، و لمّا كان على كثرة مسؤولياته يجعلها محطَّ اهتمامه و عنايته و زياراته.

و لهذا و لعظيم درجاته و جليل فضائله ؛ لم يُكتفَ ببقيع الغرقد كونه مقبرة عامة، دُفن فيها أغلب الذين كانوا يتوفون في زمن النبيّ ﷺ و كان يشهد جنائزه و إن وجدت مقابرُ أخرى ، كالتي عند مسجد القبلتين ، و كالمقبرة عند مسجد الفتح بل راحت كلُّ قبيلة تختار ناحية من البقيع لدفن موتاهم.

بل ذكروا أنَّ رسول الله ﷺ قسّم بعضه قطعاً ؛ لبناء دور للمهاجرين صغيرة و كبيرة،

---

١. محمد حسين هيكل، منزل الوحي، جنَّة البقيع .

حتى راح بعض الصحابة يجعلون فيها مقبرة لهم و لعوائلهم ، أو أنَّ الدار صارت فيما بعد مقبرة العائلة ، أو محل دفن أحد شخصياتها المهمّة ، و من هذه الدور كانت هناك دار لعقيل بن أبي طالب ؛ يُقال: إنَّ العباس بن عبد المطلب عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله دُفن فيها. و في قول: دفن العباس بن عبد المطلب عند ق فاطمة بنت أسد بن هاشم أول مقابر بني هاشم التي في دار عقيل ، و تحوّلت هذه الدار في العهد العباسي إلى حرم.

و قد اختار الإمام عليّ عليه السلام داراً إلى جوار دار عقيل ، فقيل له: مالك جاورت المقابر؟! فقال عليه السلام: «وجدتهم جيران صدق يكفون ألسنتهم و يذكرون الآخرة»!

فعن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قيل له: مالك تركت مجاورة قبر رسول الله عليه السلام و جاورت المقابر (يعني البقيع)؟ فقال: «وجدتهم ج ان صدق، يكفون السيئة و يذكرون الآخرة»!

و قد روي أنّ عقيل بن أبي طالب رأى أباسفيان بن الحارث ـ (المتوفى سنة ١٥ أو ٢٠ هـ) و هو ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله ، و أخوه من الرضاعة ؛ أرضعتهما حليمة السعديَّة ـ يجول بين المقابر ، فقال: يا بن عمّي مالي أراك هنا؟ قال: أطلب موضع قبري. فأدخله داره، فأمر بقبر فحفر في قاعتها ، فقعد عليه أبوسفيان ساعة ثمّ انصرف ، فلم يلبث إلّا يومين حتى تو و دفن فيه.

و عن السمهودي تحت عنوان: بيان المشاهد المعروفة اليوم بالبقيع و غيره من المدينة الشريفة ، إعلم أنَّ أكثر الصحابة ـ كما قال المطري ـ ممّن توفي في حياة النبيِّ صلى الله عليه وآله و بعد وفاته مدفونون بالبقيع ، و كذلك سادات أهل بيت النبيِّ صلى الله عليه وآله و سادات التابعين.[1]

---

١. تاريخ المدينة، لابن شبه١: ١٢٧ ؛ كنز العمال، للمتقي الهندي١٥: ٧٥٩ـ٧٦٠، رقم:٤٢٩٨٩ ؛ الكامل في التاريخ، لابن الأثير١: ٦٧٣ ؛ الطبقات الكبرى، لابن سعد٣: ١٠١؛ ٦: ٩٢ ؛ الإصابة، لابن حجر٤: ٥٧٥ ؛ شرح نهج البلاغة١٠: ٦ ؛ الاستيعاب، لابن عبد البر٤: ١٦٧٦؛ وفاء الوفاء، للسمهودي٣: ٩٩ـ ١٠١.

المدفونون في البقيع : ما إن اختار رسول الله ﷺ بقيع الغرقد ، و إنَّ اختياره هذا تمَّ بأمر من السماء ، و هي فضيلة عظيمة سُجلت كأوّل فضيلة حظي بها البقيع ، ثمَّ توالت عليه فضائل أُخرى راحت تواكبه و من يُدفن فيه ، أعظمها زيارات رسول الله ﷺ له ، و مواقفه و أقواله مدحاً لهذه البقعة و ثناءً عليها ، فضلاً عن أدعيته المتواصلة لأهل البقيع ، و حثّه على زيارته و القبور التي فيه ، و التي يُستشف منها حثّه ﷺ على الدفن فيه ، حتى تسارع الصحابة إلى زيارة البقيع ، و تكرار التردّد عليه ، و رغبتهم في دفن موتاهم فيه حتى و كما ذكرنا اتّخذوا دوراً لهم فيه ، و جعل بعضهم قبورهم فيها طمعاً بالثواب و رغبةً في الأجر و نيل الدرجات و أهمّها شفاعة رسول الله ﷺ و شهادته للمدفونين فيه.

و قد دُفن في بقيع الغرقد هذا آلاف من الصحابة و الصحابيات ؛ أعلام من الصحابة ؛ و من تابعيهم و تابعي تابعيهم ، و العديد من آل البيت النبوي الشريف ، و الصالحين ، و العلماء على مدى القرون.

و هذا ما دفع محمد حسين هيكل إلى أن يُحدث نفسه بما يُداخل مشاعره من أماني قائلاً: قلت في نفسي: أوَلا يهدي الله رجلًا من المسلمين إلى كتابة تاريخ لهذه البقعة و الذين دفنوا بها ينشر فيه ما عملوا و يحلله تحليلًا علميًّا ، و يرده إلى أصوله ، و يُبيِّن ما كان له في الوجود من أثر ؟! إنّ في قصص ما صنعوا و ما كانوا عليه لأبلغ العبرة، و هو بعدُ يكشف من تاريخ هذا العالم عن شيء كثير ما أحوج العالم إلى أن يقف عليه فهؤلاء جميعًا من أصحاب رسول الله ﷺ و هم عَرَب من أبناء شبه الجزيرة ، فما اتّخذوه في حياتهم من عمل أدنى إلى تصوير الروح الحقّ لهذا الدين الحنيف و إلى هداية الناس لهذا الروح ، و ما أشدّ حاجة الناس إلى هذه الهداية.

ألَا لو أنَّ عملًا ضخمًا كهذا العمل أتمّه رجل أو رجال لأسدَوْا إلى الإسلام و إلى التاريـ و إلى الإنسانية خدمة جُلَّى ، و لمهَّدوا لأولي الفن أن يقيموا في هذا المكان أثرًا

خالـدًا يصـوِّر هذا الـروح روح الإقـدام في سـبيل الحـقّ و الإرادة الصادقة في سـبيل الله.

مـا أقـصرَ سِـنِي الحياة! فلـو أنَّ لي من القـدرة على القيام بـشيء من هـذا العمل الجليل أمهـد بـه الطريـق لإتمامه ؛ لأقدمتُ غير مبتغٍ إلّا رضا الله و حسـن ثوابـه ، و كفى بالله وليًّا و نصـيرًا. و لكـن ، مَـن لي بأن أقـوم ـ أنا الضعيف العاجز ـ فأجمع من شـتيت الأسـفار ما يؤرخ البقيـع و رجاله من أصحاب رسـول الله ﷺ ؟!

فلْأَذَرْ هذا الأمر يهيئ الله له من شاء من عباده ، و لله الأمر من قبل و من بعد.[1]

هـذا ، إن اتفقـت الكلمـة على أنَّ الذيـن دفنوا في البقيـع كثر ، لكنهـم اختلفوا فيمن دُفـن أولاً مـن الصحابـة في بقيع الغرقـد ، فكلامنا فيمن دُفـن في البقيـع أولاً ، لا أول من مـات من المسـلمين في المدينة ، بعـد الهجرة النبويّة المباركة إليها ، فقد ذكـر أنَّ أول من توفي بعـد مقدمـه ﷺ المدينة من المسـلمين ، صاحب منزلـه كلثوم بن الهدم الأنصـاري الأوسي و كان شـيخاً كبـيراً ، أسـلم قبـل مقـدم رسـول الله ﷺ المدينة ، و لمّـا قدم رسـول الله ﷺ المدينـة ، نـزل في منزلـه ، و لكنّه لم يلبث بعـد مقدمه ﷺ إلّا يسـيراً حتى مات.

ـ إذن اختلـف فيمـن دُفـن في بقيـع الغرقـد أوّلاً أهـو أبـو أمامـة أسـعد بـن زرارة الأنصـاري الخزرجـي النجـاري ، أم هـو أبـو السـائب **عثمان بـن مظعون** الجمحـي مـن المهاجريـن.

فهنا قولان ؛ ذهب الأنصار إلى الأول ، فيما ذهب المهاجرون إلى القول الثاني.

فأسـعد بـن زرارة الأنصـاري الخزرجـي ، و يُقال له أسـعد الخير ، كان مـن الأنصار ، قديـم الإسـلام ، شـهد العقبتـين ، فكان أول مـن بايع بيعة العقبـة الثانية ، صـار نقيباً على قبيلتـه ، لم يكـن في النقبـاء أصغر سـنًّا منه. و اختلـف في وقت موته. قيل: مـات قبل قدوم رسـول الله ﷺ المدينـة ، و قيـل: قبـل بـدر أخذتـه الذُّبحـة ، وقيـل: كانـت وفاته في سـنة مقدمـه ﷺ إلى المدينـة قبل أن يفرغ بناء المسـجد بالذبحة ، أو الشـهقة ، وقيـل: إنَّه مات في

١. محمد حسين هيكل، منزل الوحي .

السنة الأولى من الهجرة في شوال على رأس تسعة أو ستة أشهر من الهجرة و لم يحضر بدراً؛ لأنَّ بدرًا كانت في رمضان سنة اثنتين هجرية، فصلّى عليه رسول اللهﷺ، و دفن بالبقيع.

ـ و أما المهاجرون، و كما ذكرنا، فقالوا: أول من دفن به أبو السائب **عثمان بن مظعون** الجمحي؛ صحابيٌّ بدريٌّ من السابقين إلى الإسلام، حين انطلق عثمان بن مظعون، و عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، و عبد الرحمن بن عوف، و أبو سلمة بن عبد الأسد، و أبو عبيدة بن الجراح، حتى أتوا رسول اللهﷺ، فعَرَض عليهم الإسلام، أنبأهم بشرائعه، فأسلموا جميعًا في ساعةٍ واحدةٍ، و ذلك قبل دخول رسول اللهﷺ دار الأرقم، و قبل أن يدعو فيها. و في خبر أنه أسلم بعد ثلاثة عشر رجلًا، و هاجر هو و ابنه السائب الهجرة الأولى إلى الحبشة في السنة الخامسة للبعثة و أتمّها بهجرته إلى المدينة؛ فنال وسام الهجرتين، ثمّ وسام مشاركته في وقعة بدر الكبرى يوم ١٧ شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة؛ ليتوفى بعدها في شعبان من السنة الهجرية الثالثة على رأس ثلاثين شهراً من الهجرة، و قبّله رسول اللهﷺ و هو ميت، و كانت دموعهﷺ تسيل على خدّ عثمان بن مظعون. و كبر عليه أربع تكبيرات، كما وردت بذلك الأخبار،[1] و كان أول من دفن ببقيع الغرقد.

فعن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: أول م دفن بال قيع من المسلمين عثمان بن مظعون، فأمر ب رسول اللهﷺ، فدفن عند موضع (الكبا) اليوم عند دار محمد بن الحنفية، قال محمد بن عمر: و (الكبا)، الكناسة.

و كذا عن عبيد الله بن أبي رافع: أول من دفن ببقيع الغرقد عثمان بن مظعون وضع رسول اللهﷺ حَجرًا عند رأسه، و قال: «هذا فَرَطُنا».

فكا إذا مات الميت بعده قيل: يا رسول الله أين ندفنه؟ فيقول رسول اللهﷺ:

١. بطرق أهل السنة فقط، (اليوسفي الغروي).

«عنـد فَرَطِنـا عثـمان بـن مظعون».

و عـن أبي بكـر بـن محمـد بـن عمـرو بـن حزم قـال: رأيت قبر عثـمان بـن مظعـون و عنـده شـئ مرتفـع ؛ يعني كأنـه علـم. أو فأمر رسـول اللهﷺ بـشيء فوضع عند رأسـه و قـال: «هـذا علامة قبره يدفن إليـه». يعنـي من مات مـن بعـده.

و في خـبرٍ؛ ثـمَّ شـهد دفنـه ، فلمّا فرغ ، و سـوى عليـه قبره ، أمـر أن يؤتى بحجـرٍ فقام رجـل إلى حجـر ، فلـم يسـتطع حمله ، فقـام إليه النبـيُّﷺ و حسر عـن ذراعيه ، ثـمَّ حمله، فوضعـه عنـد مـكان رأسـه ، و قـال: «و نعلـم بـه قـبر أخـي ، و أدفـن إليـه من مـات من أهلي».

و فعـلاً و كـما روى الشـيخ الكليني بسـنده عن أحدهماعليهما السلام، قال: لمّـا ماتـت رقية ابنة رسـول الله ، قـال رسـول اللهﷺ: «الحقـي بسـلفنا الصالح عثمان بـن مظعو و أصحابه. و كانـت فاطمـة عـلى شـفير القبر تنحـدر دموعهـا ، و رسـول اللهﷺ قائـم يتلقاهـا بثوبه و يدعـو لرقيـة ، ثـم قال: «سـألت الله عـزَّ وجـلَّ أن يجيرها من ضمـة القبر.[1]

ـ و قد دفنﷺ ابنه إبراهيم إلى جانب عثمان بن مظعون رضوان الله عليهما.

و إبراهيـم ابن رسـول اللهﷺ وُلـد مـن زوجتـه مارية القبطيـة في المدينة المنـورة في ذي الحجـة ، و يُعـدُّ ولـده الوحيد مـن غـير أُمِّ المؤمنين خديجة بنـت خويلدعليها السلام. و تـوفّي لعشر ليـال خلـت مـن ربيـع الأول سـنة عـشر ، و هـو ابـن ثمانيـة عـشر أو سـبعة عشر شـهرًا. و قـالﷺ: «ندفنـه عنـد فرطنـا عثمان بـن مظعون».

روى جابـر أنَّ النبـيَّﷺ أخـذ بيـد عبـد الرحمن بـن عوف ، فأتى بـه النخل ، فـإذا ابنه إبراهيـم في حجـر أمّـه يجـود بنفسـه ، فأخذه رسـول اللهﷺ فوضعـه في حجره ، ثـمّ قال: «يـا إبراهيـم ، إنّـا لا نغنـي عنك مـن الله شـيئاً». ثمّ ذرفـت عيناه ، ثـمّ قـال: «يا إبراهيم ، لـولا أنـه أمـر حـقّ ، و وعـد صـدق ، و أن آخرنا سـيلحق أولنـا ، لحزنّـا عليـك حزناً هو

---

١. انظر تاريخ الطبري ٣ : ٢٨٢؛ وعنه في تاريخ ابن الأثير ؛ فروع الكافي ١ : ٦٦ .

أشدّ من هذا، و إنّا بك يا إبراهيم لمحزونون، تبكي العين، و يحزن القلب، و لا نقول ما يسخط الرب». أو «تدمع العين، و يحزن القلب، و لا نقول إلّا ما يُرضي الربَّ، و إنّا بك يا إبراهيم لمحزونون».

و في قولٍ: إنَّ رسول الله ﷺ حين دفن ولده إبراهيم في البقيع سوى على قبره بيده، و أعلم عليه بعلامة، و قال: «إنَّها لا تضرّ و لا تنفع، و لكن تقرّ عين الحي، و إنَّ العبد إذا عمل عملاً أحبّ الله أن يتقنه».

و نترك الأمر لهيكل؛ لنقرأ منه كلاماً جميلاً عن إبراهيم ابن الرسول ﷺ و هو ممن دُفن في البقيع:

و مع تسوية قبور البقيع بالأرض اليوم، و عدم إعلامها إلّا بهذه الأحجار الموضوعة حولها، لقد شعرتُ إذ وقفت أمام بعضها بهزَّة نفسية كأنّما بيني و بين ساكنيها أقرب الأَوَاصِر، و كأنهم دُفنوا لأمْسهم، و لمّا تجفَّ العَبْرة عليهم، من هذه القبور قبر إبراهيم ابن الرسول ﷺ، فلقد وقفتُ لديه و أطلتُ الوقوف، و ذكرتُ عنده هذه الفترة الوجيزة من حياة محمد، مذ وُلد هذا الطفل إلى أن مات، و لمَّا تنتصف السنة الثانية من عمره، كان الله قد فتح أمَّ القرى مثابة بيته العتيق على المسلمين، و قد أمنهم جانب الروم، و كان النبيُّ قد جاوز الستين بعد أن اطمأن إلى نصر الله إياه، تَفِدُ عليه القبائل من أنحاء الجزيرة كلّها تعلن إليه إسلامها و تستظل بلوائه الروحي و بأخوَّة المؤمنين.

كان إلى ذلك قد فقد أبناءه و بناته، فلم يبقَ له منهم إلّا فاطمة، و قد أقام عشر سنوات بعد وفاة خديجة، و بعد زواجه من عائشة و سائر أمهات المؤمنين لا يَعْقِب، فلمّا وَلَدَتْ له ماريَّةُ القبطية المصرية إبراهيم، فاضت بالمسرَّة نفسه، و وجد في هذا الطفل أُنس قلبه و زينة حياته، فجعل يمرُّ كلَّ يوم بدار أمّه، يمتِّع بابتسامة الطفل البريئة الطاهرة، و يُغَذِّي بضمِّه إلى صدره شعوره الإنساني، الذي بلغ من السمو أن

شـمل النـاس جميعًـا ، و هو يجد مع ذلـك في توفره على هـذا الطفل نعيمًا و غبطـة ، و تأخذ الغَـيْرة أُمهـات المؤمنـين لهذا الحُـبِّ ، الذي رفـع أمَّ إبراهيم عـن مقام السـراري إلى مقام الزوجـات ، فيأتَمِـرْن بالنبـيِّ ، و يخـرج بهـن الغضـب إلى مـا لم يُعَوِّدْنَـه ، فـلا يصرفه ذلك عـن الطفـل ، بـل يزداد به تعلقًا كلـما ازداد نمـوًّا ، و كلما رأى في ابتسـامته و في ضحكته ما تَسـعد بـه أبوَّته و تسـتريح له نفسـه من عملـه العظيـم المُضْنِي.

و يترعـرع الطفـل و ينمـو و يزداد شـبهه بمحمـد وضوحًا ، فيـزداد له حبًّا و بـه تعلقًا و يرمقـه مـن العطـف بـما لا عطـف بعده ، و إنـه لكذلـك ، إذ مـرض الطفـ و أسرع فيه المـرض ، فذبلـت نضارتُـهُ ذهب لونه ، و لم ينفعـه تمريض أمّه ، و لم يبعـث عطف أبيه إلى جسـمه النحيل الشـفاء ، و يشـتد الألم بمحمد لما يـرى من حاله ، و يبلغ منـه الألم أن يأخذ بيـد عبـد الرحمـن بن عـوف يعتمد عليـه في مسـيرته مـن المدينـة إلى النَّخل بجـوار العالية مـن ضواحـي المدينـة حيث تقيـم مارية تُمَـرِّض ابنهـا ، و تُعينهـا أختها سِـيرين في تمريضه ، و تواسـيها في بأسـائها ، و يـرى النبـيُّ الطفـل في حِجْـر أمّـه [يجود] بنفسـه ، فيمـلأ الألمُ قلبـه و تَنْـدَى بالدمـع عينه ، و يجلـس إلى جـوار مارية الملهوفة و هو أشـدّ ما يكـون وَجَلًا و خوفًـا و جزعًـا ، و يأخذ الطفـل إلى حجره ، و ينظر إليه بعينـين مُلِئتا ألماً و يقـول: «إنَّا يا إبراهيـم لا نُغْنِـي عنك من الله شـيئًا»!

فتصيـح الأمُّ و تصيـح أختها و الطفـل في غيبوبة الموت لا يوقظه صريـخ أمّه و لا تنبهه الدمـوع الحارّة المنهلّة مـن مآقي أبيه!

و يُقبـض هـذا الـروح الـبريء ، و ينطفـئ بموتـه أمـلٌ تفتحت له نفـس النبـيّ زمنًا ، فتـزداد عينـاه تَهْتانًـا ، و يأخـذ منه الحـزن كلّ مأخـذ ، و يقـول و الجثة الصغـيرة الهامدة ما تـزال في حجـره: «يـا إبراهيـم ، لـولا أنه أمـر حـقّ ، و وعد صـدق ، و أن آخرنا سـيلحق بأولنـا ، لحزِنَّـا عليك بأشـدَّ مِـن هذا».

ثـمّ تخنقـه العَـبْرة ، فـلا يسـتطيع أن يتابع القـول فيعلوه الوجـوم ، و قد ارتسـم الحزن

على قَسَمات محيَّاه في أبلغ صورة للهفة اللاذعة العميقة، و يشعر بأنه مفارق هذه الفلذة من كبده، فيهز رأسه و يقول: «تَدمع العين و يحزن القلب، لا نقول إلّا ما يُرضي الرب، و إنَّا يا إبراهيم عليك محزونون».

و يحسّ محمد ما به من جَوَى الحزن، و ما يلفحه من حُرقته، و يُقَدِّر بما بمارية و أختها منه، فتأخذه الرأفة بهما، فيكفكف من دمعه و يتوجه إليهما يريد تعزيتهما فيذكر لهما إنَّ له لَمُرْضِعًا في الجنة، و يقوم و معه عمُّه العباس و طائفة من المسلمين يشيعون إبراهيم بعد ما غسَّلو و حملوه على سرير صغير، ها هم أولاء قد جاءوا به إلى هنا، و وقفوا به حيث أقف، و لعلّه ﷺ كان واقفًا مكاني حين صلَّى عليه، و حين سَوَّى على قبره بيده بعد دفنه، و حين رَشَّ الماء على القبر، و أعْلَمَ عليه بعلامة و قال: «إنّها لا تضرُّ و لا تنفع، و لكنها تُقِرُّ عينَ الحي، و إنَّ العبد إذا عمل عملًا أحبَّ الله أن يُتْقِنَه».

و حدثتني نفسي و أنا بموقفي: كيف يبلغ الحزن من محمد هذا المبلغ، و قد حمل في الحياة ما ينوء به مَن لم يؤته الله من فضله ما آتى نبيَّه و رسوله، و قد حمله قويًّا صابرًا مستهينًا بالأذى و الموت؟!

و ذكرت إذ ذاك أنّه ﷺ بشرٌ مثلنا، و أنَّ لنا فيه الأسوة و المثل، و أنّه في حزنه على إبراهيم قد كان الأُبَوَّة البرَّة و العاطفة السامية التي ركَّبها الله في الناس إبقاءً على الحياة، و صورة لوحدتها المتنقلة على الأجيال، و هل في الحياة كعاطفة الأبوة البرة نعمة و سعادة و زينة؟!

و هذه العاطفة التي نسعد بها هي التي تبعث إلى قلوبنا حُبَّ الغير، تخفِّف من أَثَرَتِنا و تعلمنا الإيثار و تدعونا إليه، و هي التي تدفعنا بذلك إلى السعي في الحياة ابتغاء الرزق لبنينا و مَن يلوذ بنا، و ابتغاء الخير بعد ذلك للناس جميعًا، و لولا هذه العاطفة لَقَضَت الأثرة على الحياة، و لأسرع الفساد إلى الكون.

و يخـرج النـاس من البقيع بعـد موت إبراهيم ، فإذا الشـمس تَكْسِـفُ ، و إذا آية النهار تُمْحَـى ، فيحسـبون ذلك معجزة شـارك الكون بها رسـول الله في حُزْنِـه ، لكنه صلى الله عليه وآله ما يلبث حين يسـمعهم يتهامسـون بذلك أن يقول لهم: «إنَّ الشـمس و القمر آيتان من آيات الله لا تُخسـفان لموت أحـدٍ و لا لحياته ، فـإذا رأيتم ذلك ، فافزعوا إلى ذكـر الله بالصلاة».

و يهرع المسـلمون إلى المسـجد يصلُّـون و قد زادتهم كلمة رسـول الله إيمانًا بـأنَّ الله جلَّ شـأنُه لا يُغـير سُـنته ، و أنَّ كلّ ما يقـع في الحياة إنّما هـو من أمره.

و بدفـن إبراهيـم ابن رسـول الله صلى الله عليه وآله في هذه البقعـة المباركة عظمت رغبة المسـلمين في أن يُدفنـوا فيها ، و يَدفنـوا ذويهم فيها.[1]

ـ فاطمـة بنت أسـد بن هاشـم بن عبـد مناف ، أول هاشـميّة ولدت لهاشـمي كما يقول عنهـا ابـن الأثير ، و أول هاشـميّة تزوجت هاشـميّاً ، فهي زوجة أبي طالـب عمِّ النبي صلى الله عليه وآله و قـد ولـدت لـه أربعـة أولاد و هـم طالـب و عقيـل و جعفر و الإمـام عـلي عليه السلام ، و ثلاث بنـات أمّ هانـ و جمانـة و ريطـة. و كانـت من أبـرّ النـاس برسـول الله صلى الله عليه وآله قامت مقـام أمِّ النبيِّ حبًّـا به و حنانًـا عليه.

أسـلمت فكانت مـن السـابقات في الإسـلام ، و نالـت شرف الصحبـة النبوية و أجر أول امـرأة هاجـرت عـلى قدميها مـن مكـة إلى المدينة.

و كـما حظيـت فاطمة بنت أسـد بالكرامـة في حياتها ، حظيـت بها بعد وفاتها في السـنة الرابعـة هجريـة ، فقـد تـولّى رسـول الله صلى الله عليه وآله دفنها و دعـا لهـا بالمغفـرة عليها السلام ، روي أنَّ الإمام عليًّـا عليه السلام قـال: «لمـا ماتت فاطمة بنت أسـد بن هاشـم ، كفّنهـا رسـول الله صلى الله عليه وآله في قميصه ، و صـلّى عليهـا ، و كـبّر عليها سـبعين تكبـيرةً ، و نـزل في قبرهـا ، فجعل يؤمـي في نواحي القـبر ، كأنه يوسـعه ، و يسـوي عليهـا ، و خرج من قبرهـا و عيناه تذرفـان ، و كان قد جثا

---

١. الطبقـات الكـبرى، لابـن سـعد٣ : ٣٦٥ـ٣٧١ رقـم: ٩١ ؛ تاريـخ الواقـدي وغيرهما ؛ محمد حسـين هيـكل، منـزل الوحي، جنّـة البقيع .

في قبرها ، و في رواية اضطجع معها في قبرها».

عن أنس بن مالك قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أمّ علي عليه السلام، دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله فجلس عند رأسها ، فقال: «رحمك الله يا أمّي ، كنت أمّي بعد أمّي ، تجوعين و تشبعيني ، و تعرين و تكسيني ، و تمنعين نفسك طيباً و تطعميني، تريدين بذلك وجه الله و الدار الآخرة».

و لمّا ذهب اقترب منه عمر بن الخطاب و قال: يا رسول الله! رأيتك تفعل لهذه المرأة شيئاً لم تفعله على أحد من قبل؟ فقال صلى الله عليه وآله: «يا عمر ، إنّ هذه المرأة كانت بمنزلة أمّي التي ولدتني ، إنَّ أبا طالب كان يصنع الصنيع و تكون له المأدبة ، و كان يجمعنا على طعامه ، فكانت هذه المرأة تفضل منه كلّه نصيبنا فأعود به».

و في رواية: لما سئل عن سرِّ صنيعه بقبرها ، قال صلى الله عليه وآله: «إنه لم يكن بعد أبي طالب أبرَّ بي منها! إنّما ألبستها قميصي ، لتكسى من حلل الجنة ، و اضطجعت في قبرها ؛ ليهوّن عليها عذاب القبر».

قال السمهودي: إنّ قبرها في موضع من البقيع كان يعرف بحمام أبي قطيفة ، بجهة مشهد سيدنا إبراهيم ، و عليه قبّة ، و اليوم يقابلها نخل يعرف بالحمّام ، و إنّ مشهد فاطمة معروف.

و عن الإصفهاني: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله دفن فاطمة بنت أسد بالروحاء مقابل حمّام أبي قطيفة .

و عن عيسى بن عبدالله ، عن أبيه ، عن جدّه ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله دفن فاطمة بنت أسد بن هاشم أُمّ علي بن أبي طالب عليه السلام بالروحاء مقابل حمام أبي قطيفة. و الروحاء اسـ البقيع، يُقال إنَّه صلى الله عليه وآله سمّاه به.[1]

---

١. تاريخ ابن الأثير ؛ الهيثمي، في مجمع الزوائد ؛ علل الشرائع ٢: ٤٦٩، باب النوادر ؛ مقاتل الطالبيين ٤ـ٥ ؛ وعنه في شرح نهج البلاغة ١: ١٤ ؛ بحار الأنوار، للعلّامة المجلسي ٢٠: ١٨١ .

ـ أئمة أهل البيتعليهم السلام :

إلى جوار هذه السيدة المباركة فاطمة بنت أسد بن هاشم ، أُمّ رسول الله صلى الله عليه وآله كما نصَّ عليها ، و هو يودعها إلى مثواها الأخير: «رحمك الله يا أمّي ، كنتِ أمّي بعد أمّي».

عاش معها في كنفها و هي زوج لعمّه أبي طالب رضوان الله تعالى عليه الذي شاءت له السماء أن يكون إلى جانب ابن أخيه ، يضمّه إليه و يجعله في عِيالـ و يكون له كفيلاً يكلؤ و يحميه ، و سنداً اجتماعيًّا يدافع عنه و يوازره ضدَّ مواقف السوء لكبار مشركي قريش و زعمائها ، مانعاً له من أذى المشركين و قبضتهم.

فكان بحقٍّ حاضناً لرسول الله صلى الله عليه وآله بقوّة و صدق ، و كانت حاضنةً له صلى الله عليه وآله بحنان عظيم و رعاية جادّة ، ثمَّ شاءت السماء لهذه المرأة الصالحة بعد وفاتها أن تكون حاضنةً لأربعة من أئمة الطهر من أهل البيت النبويّ الشريف ، و لكن بعد أن شكّلوا امتداداً رساليًّا لجدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله و لنبوته الخاتمة حتى قضوا أعمارهم الشريفة في حفظها و صيانتها من الغلوّ و التحريف و التجاوز ، في بناء الأُمّة المؤمنة بهم و المحِبّة لهم ، و المستفيدة منهم إيماناً و علماً و معرفةً. فأدّوا الأمانة و بلّغوا رسالة ربّهم.

و بعد انتقالهم إلى الرفيق الأعلى آمنين مطمئنين **راضين مرضيّين** ، رقدوا إلى جوار جدّتهم في بقيع الغرقد. **فسلام الله وصلواته عليهم وعليها.**

الأوّل :

و كان أولهم ابن ابنها أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ، الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ، و هو أول إمام من أئمة أهل البيت دُفن في بقيع الغرقد ، إلى جوار جدّته من أبيه فاطمة بنت أسد عليها السلام ، بعد أن واجهت عملية دفنه عليه السلام مواقف ، و صاحبتها مواجهات و مشادات كلاميّة ، كادت أن تتحول إلى فتنة ، لولا وصيته سلام الله عليه.

نكتفي بما ذكره الشيخ المفيد ، حيث يقول: لما حضرت الحسن عليه السلام الوفاة استدعى الحسين عليه السلام ، و قال: «يا أخي إنّي مفارقك ، و لاحق بربّي عزَّ وجلَّ ، و قد سقيت

السـمَّ ، و رميت بكبدي في الطسـت ، و إنّي لعارف بمن سـقاني السـمَّ ، و أنـا أخاصمه إلى الله تعـالى ، فبحقّـي عليـك إن تكلمـتَ في ذلـك بـشيء ، و انتظـر مـا يحدث الله عـزَّ و جلَّ فيّ ، فـإذا قضيـتُ ، فغمّضنـي و غسّـلني و كفّنـي ، و احملنـي عـلى سريـري إلى قـبر جدّي رسـول الله صلى الله عليه وآله، لأجـدد بـه عهـداً ، ثـمَّ رُدَّني إلى قـبر جـدّتي فاطمـة بنت أسـد عليها السلام فادفني هنـاك! و سـتعلم يـا ابـن أمّ أنَّ القـوم يظنّـون أنّكـم تريـدون دفنـي عند رسـول الله صلى الله عليه وآله ، فيجلبـون في ذلـك ، و يمنعونكـم منه.

و بـالله أقسـم عليـك أن تهـرق في أمـري محجمـة دم! فلـمّا مضـى لسـبيله ، غسّـله الحسـين عليه السلام ، و كفّنـه و حملـه عـلى سريـره.

و لم يشـك مـروان و مـن معـه مـن بنـي أميّـة أنهـم سـيدفنونه عنـد رسـول الله صلى الله عليه وآله، فتجمعـوا و لبسـوا السـلاح.

فلـمّا توجـه به الحسـين عليه السلام إلى قبر جدّه رسـول الله صلى الله عليه وآله ؛ ليجـدد به عهـداً ، أقبلوا إليهم في جمعهـم ، و لحقتهـم عايشـة عـلى بغـل ، و هـي تقول: مـالي و لكـم تريـدون أن تدخلوا بيتـي مـن لا أحـبّ. و جعـل مروان يقـول: يارب هيجـا هي خيرٌ مـن دعـة. أيدفن عثمان في أقـصى المدينـة ، و يدفن الحسـن مـع النبيّ صلى الله عليه وآله. لايكـون ذلك أبـداً و أنا أحمل السـيف! و كادت الفتنـة أن تقـع بـين بنى هاشـم و بين بنـى أُميّة!

فبـادر ابـن عبـاس إلى مـروان ، فقـال لـه: ارجع يـا مـروان من حيـث جئـت ، فإنّا ما نريـد دفـن صاحبنـا عنـد رسـول الله صلى الله عليه وآله، لكنّا نريـد أن نجدّد بـه عهـداً بزيارته ، ثـمّ نردّه إلى جدتـه فاطمـة ، فندفنـه عندهـا بوصيتـه بذلـك ، و لـو كان أوصى بدفنه مـع النبيّ صلى الله عليه وآله لعلمـت أنّـك أقـصر باعـاً مـن ردّنـا عـن ذلـك ، لكنّـه عليه السلام، كان أعلـم بـالله و برسـوله و بحرمـة قـبره مـن أن يطـرق عليـه هدمـاً ، كما طـرق ذلك غـ ه و دخـل بيته بغـير إذنه.

ثـمّ أقبـل على عايشـة ، و قال لها: وا سـوأتاه! يوماً عـلى بغل، و يوماً عـلى جمل! تريدين أن تطفئـي نـور الله ، و تقاتـلى أوليـاء الله ، ارجعـي فقـد كفيت الـذي تخافـين ، و بلغت ما

تحبين! و الله تعالى منتصر لأهل هذا البيت و لو بعد حين!

و قال الحسين عليه السلام: و الله لولا عهد الحسن عليه السلام إليَّ بحقن الدماء، و أن لا أهريق في أمره محجمة دم؛ لعلمتم كيف تأخذ سيوفُ الله منكم مآخذَها، و قد نقضتم العهد بيننا و بينكم، و أبطلتم ما اشترطنا عليكم لأنفسنا!

و مضوا بالحسن عليه السلام، فدفنوه بالبقيع عند جدّته فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف عليهما السلام.[1]

الثاني:

الإمام علي بن الحسين عليهما السلام، رابع أئمة أهل البيت عليهم السلام، تُوفي سنة ٩٤ أو ٩٥ هجرية، أي بعد خمس وثلاثين سنة ـ و هي مدّة إمامته ـ من واقعة الطف و استشهاد أبيه الإمام الحسين عليه السلام في العاشر من شهر محرّم سنة ٦١ للهجرة، و قد عاش فصولها المليئة **بالدماء** و بحزِّ الرؤوس و تقطيع الأشلاء و رضّها، حتى عُدّت الأفظع و الأشنع و من أكبر الفجا و الأحداث المؤلمة التي ارتكبها الظالمون بحقِّ بيت النبوّة فتركت في نفسه عليه السلام آلاماً عظيمة و أحزاناً دفنت معه في البقيع إلى جوار عمّه الإمام الحسن عليه السلام، و بقرب مدفن العباس بن عبد المطلب.

الثالث:

الإمام محمد الباقر عليه السلام، خامس أئمة أهل البيت عليهم السلام، انتقل الإمام الباقر عليه السلام إلى رضوان الله تعالى سنة ١١٨ هجرية، و سنّه المباركة سـ و خمسون سنة، و مدّة إمامته تسع عشرة سنة، و في يوم وفاته، قام ابنه الإمام الصّادق عليه السلام بدفنه في بقيع الغرقد بالمدينة بجوار أبيه علي بن الحسين عليهما السلام، و عمّ أبيه الحسن بن علي عليه السلام، في القبّة التي فيها قبر العباس.

و أما الرابع فهو الإمام جعفر الصادق عليه السلام، سادس أئمة أهل البيت عليهم السلام، كانت

---

١. الشيخ المفيد، الإرشاد ١: ٢٧٩.

وفاتـه سـنة ١٤٨ للهجـرة ، و مـدّة إمامته أربـع و ثلاثون سـنة ، و دفن بالبقيـع إلى جانب أبيـه الإمـام الباقـر عليه السلام ، و قـد سـجّل هـذان الإمامـان دوراً بـارزاً في إتمام مدرسـة الإمام علي بن الحسـين التـي بدأها و أنشـأها في المدينة المنـورة ، **فتضافرت جهودهـم** لتطويرها ، و بنـاء روّادهـا القادمـين علميًّا و أخلاقيًّـا ، و هم من شـتّى البقاع و المذاهـب كما أظهرت مدرسـتهم الفضـل العلمـي الكبير لهـم ، و تميزهـم المعرفي فضلاً عـن الإيـماني و العبادي عـلى من سـواهم من علماء عصرهـم ، فكانوا موضع ثنائهم و إشـادتهم ، ممـا جعل الكثير مـن المسـلمين خاصـة طلبـة العلـوم و الباحثـين ، يـرون ضرورة الارتبـاط بمدرسـتهم العلميـة و الأخلاقيـة ، و عـدم الاسـتغناء عـن عمقهـا المعـرفي ، رغـم مـا يبذلـه الحـكّام و المناوئـون لأهـل البيـت عليهم السلام مـن جهـود خطـيرة ؛ لأجل خلق ظـروف معاكسـة لهؤلاء الأئمـة خاصـة ، و لحركة أهـل البيت النبـويّ في الأمـة عامة.

و بدفـن هؤلاء الأئمـة الطاهرين في مقبرة البقيع ، زادت فضيلتهـا و بركتها و جلالها ؛ لتضـاف إلى ما اسـتمدته من بركات و فضائل بسـبب قربها من الضـريح الطيّب لرسـول الله صلى الله عليه وآله و لمواقفـه و كلماتـه فيهـا ، و لما ضمّته من قبور شـهداء الصدر الأول من الإسـلام ، و شـهداء واقعـة الحـرّة التـي كانت بأمرٍ مـن يزيد بـن معاوية الذي ما إن اسـتلم السـلطة بعـد أبيـه معاويـة ، حتـى حكـم ثـلاث سـنوات ضمّـت ثـلاث جرائـم كـبرى ارتكبهـا و تابعـوه ، في كلّ سـنة منها جريمـة مروّعة:

في السـنة الأولى ؛ كان قتلـه للإمـام الحسـين عليه السلام و أهـل بيتـه و أنصـاره في كربـلاء في محـرّم سـنة ٦١ هجرية ، بعد أن ركـزوا بين اثنتين ، بين السـلّة و الذلّة ، و ذلـك حين خيّروا الإمـام عليه السلام بـين السـلّة و الذلّة ، بين سـيف القتل و البيعـة ليزيد و الطاعة لـه و فيها منتهى الذلّة.

فكان جوابه عليه السلام: «و هيهات منّا الذلّة ، يأبى الله لنا ذلك و رسول و المؤمنون...».

و في السـنة الثانيـة ؛ في الثالـث عـشر مـن محـرّم سـنة ثـلاث و سـتين هجريـة ، كانت

وقعة الحرّة بين ثوّار المدينة و جيشه الذي أرسله من الشام بقيادة مسلم بن عقبة حتى يأخذوا بيعة أهل المدينة ، بل لإكراههم على أنّهم خول ليزيد ، يحكم في دمائهم و أموالهم و أهليهم ، و إلّا قتلهم أشدّ قتلة ، فلمّا لم يجد غير الممانعة و الرفض من أهلها أباح مدينتهم ؛ مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثة أيام ، فتعرضت حرمتها إلى إساءة بالغة سلبت فيها أموالهم ، و انتهكت أعراضهم حين افتضَّ فيها ألف عذراء ، و أزهقت فيها أرواح كثيرة ، منهم ثمانون صحابيّاً بعضهم بدريون و سبعمئة حافظاً للقرآن الكريم ؛ حضنتهم مقبرة البقيع ، فزادت بهم فضلاً و جمالاً.

و في السنة الثالثة من سلطانه ، سنة أربع و ستين هجرية ، بعد وقعة الحرَّة رميت الكعبة المشّرفة بالمنجنيق ، فانتهكت هي الأخرى حرمتها و احترقت أستارها.

و عن السيوطي ، قال الذهبي: لما فعل يزيد بأهل المدينة ما فعل مع شربه الخمر و إتيانه المنكرات ، اشتد عليه الناس، و خرج عليه غير واحد ، و لم يبارك الله في عمره ، و سار جيش الحرَّة إلى مكة ؛ لقتال ابن الزبير ، فمات أمير الجيش بالطريق فاستخلف عليهم أميراً ، و أتوا مكة ، فحاصروا ابن الزبير و قاتلوه و رموه بالمنجنيق ذلك في صفر سنة أربع و ستين ، و احترقت من شرارة نيرانهم أستار الكعبة و سقفها و قرنا الكبش الذي فدى الله به إسماعيل و كان في السقف ، و أهلك الله يزيد في نصف شهر ربيع الأول من هذا العام.

و لوجود قبور أُخر غير ما ذكرناه كقبر عمِّ النبيِّ العباس بن عبد المطلب الذي تُوفي في المدينة المنورة سنة ٣٢هـ و عمره ٨٨ عامًا و دفن في بقيع الغرقد ، و يُقال في دار عقيل ، و في قول: دفن العباس بن عبد المطلب عند ة فاطمة بنت أسد بن هاشم.

و قبر عقيل بن أبي طالب ، تُوفي سنة ٤٩ من الهجرة ، بعد أن كفَّ بصره و كانت لعقيل دار واسعة في بقيع الغرقد كما ذكرنا ، دُفن فيها.

و لشخصيات أُخر دُفنت في البقيع ؛ عدد من عمّاته و أزواج و أولاده صلى الله عليه وآله

و الصحابة حتى ورد في بعض التواريخ أنَّ عشرة آلاف صحا و صحابية دفنوا فيه و دفن فيه الكثير من التابعين و تابعي التابعين، و العديد من كبار شخصيات المسلمين و علمائهم، حتى صار البقيع، و بالذات هذا الجزء منه ذا مكانة رفيعة عند المسلمين على تعدد مذاهبهم و اختلاف طوائفهم، يواظبون على زيارته عبر الأجيال و القرون.

و أختم هذا الفصل، و بالذات هذا الجزء من البقيع بما ذكره محمد حسين هيكل، فبعد أن يختار هذا العنوان (جَنَّة البَقِيع!) لهذا الباب من كتابه (في منزل الوحي)، يقول: إنْ تَعْجَب فقد عجبتُ قبلك من عنوان هذا الفصل، عجبتُ حين قرأتُ الكلمتين اللتين تؤلِّفانه على صورة شمسية للقباب التي كانت قائمة بالبقيع ثمّ هدمها الوهابيون، و إنّما هوَّن من عجبي أنّ الذي أطلق على المكان جنَّة البقيع و وضعه على الصورة رجل من الأتراك في عهد بني عثمان، فلمّا انقضى العجب و عُدْتُ أتدبَّر الكلمتين رأيتهما تعبران عن معنًى دقيق، فاخترتُهما عنوانًا لهذا الفصل من الكتاب.

فالبقيع، أو بقيع الغَرْقَد كما تسمّيه كتب السيرة، هو مقبرة المدينة، كان مقبرتها في الجاهلية و في صدر الإسلام، و ما يزال مقبرتها إلى اليوم، و لم يَعْنِ التركي صاحب الصورة الشمسية هذا البقيع كلّه في جاهليته و إسلامه، و إنّما عَنَى جزءًا منه هو الذي بقي موضع عناية الناس به و زيارتهم إياه، و هو موضع حديثي الآن.

حيث يقول عن هذا الجزء من البقيع: ففي هذا الجزء من البقيع مقابر أزواج النبيِّ و قبر ابنه إبراهيم و قبور بناته، و قبر عثمان بن عفان، و قبر جعفر الصادق، و قبر مالك بن أنس، و قبور شهداء واقعة الحَرَّة التي هاجمت فيها جيوش يزيد بن معاوية المدينة سنة ثلاث و ستين من الهجرة، هذا إلى كثير من صحابة رسول الله ﷺ ذكرت المؤلفات القديمة عددًا كبيرًا من أسمائهم، و أغفلت مع ذلك ذكر أسماء أكثرهم.

المسلمون جميعًا على اتفاق أنَّ أصحاب هذه الأسماء التي أسلفناها من أهل الجنة، و أنَّ كثيرين غيرهم، لم أذكر أسماءهم، من أهل الجنة كذلك، فمنهم جماعة من أهل

بـدر الذيـن قـال فيهم رسـول الله ﷺ: «لعـلَّ اللهَ قـد اطلع على أهل بـدر يوم بـدر ، فقال: اصنعـوا ما شِـئْتُم ، فإنّي قد غفـرتُ لكم».

و منهـم جماعـة وهبوا حياتهم لله و لإخوانهم المسـلمين ، فاستشـهدوا في سـبيل الحقّ ، و شـهد النـاس لهم في حياتهـم بالتقوى ، فلهم عند ربّهـم مغفرة و أجر كريـم، و من بينهم جماعـة مـن العلماء الذيـن توفّـروا حياتهم عـلى العلم مخلصين لـه وجوههـم ، لا يبغون به غـير الحـقّ مرضـاةً لله ؛ من هـؤلاء مالك بـن أنس صاحـب المذهب المالكي و عـالم المدينة العظيـم ، و العلـماء ورثـة الأنبياء مـا أرادوا بعلمهـم الحقّ و هدايـة الناس لـه. أما و ذلك شـأن الثاوين في هـذا المكان.

و أحسـن هيـكل إذ يقـول: فلم يَغْلُ من سـمَّاه جنّـة البقيـع ، و لم يَغْلُ من رفـع القباب عـلى قبـور أصحابـه ؛ لـو أنـه قصـد منهـا إلى الإشـادة بذكرهـم ؛ لتكـون للناس عـلى كَرِّ العصـور مُذَكَّـرًا و عِبْرة.[1]

بقيع الغرقد و مشاهده و قبابه فيما كتبه الرحّالة :

ابـن جبير (ت٦١٤هـ) يقـول في رحلتـه: فـأول مـا نذكر مـن ذلك مسـجد حمزة عليه السلام، و هـو بقبـلي الجبـل المذكـور ، و الجبل جـوفي المدينـة ، و هو على مقـدار ثلاثة أميـال و على قـبره مسـجد مبنـي. و القـبر برحبة جـوفي المسـجد ، و الشـهداء، رضي الله عنهـم ، بإزائه، و الغـار الـذي أوى إليـه النبـي ﷺ بـإزاء الشـهداء أسـفل الجبـل. و حـول الشـهداء تربة حمـراء هـي التربـة التي تنسـب حمز و يتـبرك النـاس بها.

فبعد أن ذكر أنَّ هناك مسجداً على قبر حمزة ، يأتي كلامه عن البقيع:

---

١. تاريـخ الخلفـاء، للسـيوطي: ١٦٧ ؛ تاريـخ الطـبري٥: ٤٩١ ، حـوادث سـنة ٦٣ للهجـرة والجـزء٤: ٤٩٦،٥: ٤٩٨ـ٥٠٠ وغيرهمـا ؛ تاريـخ معـالم المدينـة المنـورة، أحمـد ياسـين الخيـارى ٣٤٧ أو ٢٤٧ ، ٤٠٨،٨٦،٩٩ ؛ تاريـخ المدينـة المنـورة، ابـن شـبه١: ٨٦،٩٩ ؛ منـزل الوحـي، لهيـكل.

و بقيع الغرقد شرقي المدينة ، تخرج إليه على باب يعرف بباب البقيع ، و أول ما تلقى عن يسارك عند خروجك ، من الباب المذكور ، مشهد صفية عمّة النبيّ ﷺ أمّ الزبير بن العوام ، و أمام هذه التربة قبر مالك بن أنس الإمام المدني ، و عليه قبة صغيرة مختصرة البناء.

و أمامه قبر السلالة الطاهرة إبراهيم ابن النبيّ ﷺ و عليه قبة بيضاء و بإزائه قبر عقيل بن أبي طالب ، و عبد الله بن جعفر الطيار ، و بإزائهم روضة فيها أزواج النبيّ ﷺ و بإزائها روضة صغيرة فيها ثلاثة من أولاد النبيّ ﷺ.

و يليها روضة العباس بن عبد المطلب و الحسن بن عليّ، ثمَّ يقول:

و قبراهما مرتفعان عن الأرض متسعان مغشيان بألواح ملصقة أبدع إلصاق ، مرصعة بصفائح الصفر ، و مكوكبة بمسامير على أبدع صفة ، و أجمل منظر.

على هذا الشكل قبر إبراهيم ابن النبيّ ﷺ و يلي هذه القبة العباسية بيت ينسب لفاطمة بنت الرسول ﷺ و يعرف ببيت الحزن ، يقال: إنّه الذي أوت إليه و التزمت فيه الحزن على موت أبيها المصطفى ﷺ.

ثمَّ يذكر في قبر عثمان آخر البقيع ، و عليه قبة صغيرة مختصرة.

و على مقربة منه مشهد فاطمة ابنة أسد أمّ علي، رضي الله عنها وعن بنيها و على قبر فاطمة المذكورة مكتوب: ماضمَّ قبر أحد كفاطمة بنت أسد رضي الله عنها و عن بنيها !

هذا ابن جبير في رحلته ، و أما ابن بطوطة(ت٧٧٩هـ)، فله رحلة وقعت بعد رحلة ابن جبير بمئة و خمسين عاماً ، ما دوّنه فيها يشبه رحلة ابن جبير ، فيذكر أيضاً فيها أنَّ على قبر إمام المدينة أبي عبدالله مالك بن أنس قبةً صغيرةً مختصرةَ البناء ، و على قبر إبراهيم بن رسول الله ﷺ قبة بيضاء.

ثمَّ يذكر روضة فيها قبر العباس بن عبد المطلب عمّ رسول الله ﷺ، و قبر الحسن

بـن عـلي بـن أبي طالـب عليه السلام، فيها قبـة ذاهبة في الهـواء بديعـة الإحكام عن يمـين الخارج مـن باب البقيع. و قبراهما مرتفعان عن الأرض متسـعان مغشـيان بألـواح بديعة الإلصاق مرصعـة بصفائـح الصفـر البديعـة العمـل... و في آخر البقيـع قبر عثمان بن عفـان و عليه قبـة كبـيرة. و علـى مقربـة منـه قـبر فاطمـة بنـت أسـد بـن هاشـم أمّ عـلي بـن أبي طالب الله عنهـا و عـن ابنها.[1]

لهـذا نجـد السـمهودي (المتوفّى٩١١هــ) يذكـر شـيئاً لا يختلـف عـما ذكـره ابـن جبير و ابـن بطوطـة في وصـف بقيـع الغرقـد، فيقـول: قد ابتنـى عليها مشـاهد، منها المشـهد المنسـوب لعقيـل بـن أبي طالـب و أُمّهـات المؤمنـين، تحوي العباس و الحسـن بـن علي... و عليهـم قبـة شـامخة في الهـواء، قال ابـن النجـار:... و هي كبـيرة عاليـة، قديمـة البناء، و عليهـا بابـان، يفتـح أحدهمـا في كلّ يوم. و قـال المطري: بناهـا الخليفة النـاصر أحمد بن المسـتضيء... و قـبر العباس و قبر الحسـن مرتفعان من الأرض متسـعان مغشـيان بألواح ملصقـة أبـدع إلصـاق، مصحفـة بصفائـح الصفـر، مكوكبـة بمسـامير على أبـدع صفـة و أجمـل منظر.[2]

و إذا بالمعاول !!

في العـام (١٢٢٠هــ/ ١٨٠١م) و في العـام (١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م) قـد هـوت لا عـلى تلـك القباب و المشـاهد و القبـور و أحجارها و معالمها فقـط حتى جعلتها مدمـرةً خربةً، بـل هـوت عـلى الأئمة عليهم السلام و الصالحـين و الشـهداء رضي الله عنهم، و هوت عـلى تلـك الفضائل التي منحهـا رسـول الله صلى الله عليه وآله لتلك البقعة المباركة، و على مواقف و مشـاهد رسـول الله صلى الله عليه وآله التي

١. كتـاب تحفـة النظـار في غرائـب الأمصـار و عجائـب الأسـفار، لابـن بطوطـة. (وهذا غـير صحيح، فإنّهـا لم تكـن عـلى مقربـة مـن مقبرة عثـمان في حـشّ كوكب خـارج البقيـع. بل هي مـع قبـور أبنائها الأئمـة عليهم السلام وعمّهم العبـاس، أوائـل البقيع).

٢. وفاء الوفاء، السمهودي٣: ٩١٦ـ ٩٢٩.

كان من خلالها يبعث بأجلِّ آيات التكريم و الترحّم على بقيع الغرقد، و من دُفن فيه، فجعلت منه مأوى أفئدة، و محطّ آمال، و راحة بالٍ للزائرين و جعلت منه ما يخفف عن النفوس المؤمنة ممّا تحملته من هموم و أثقال، حقًّا: «إذا ضاقت الصدور فعليكم بزيارة القبور»!

حتى أنَّ من يزور البقيع و يرى تلك النفوس الصالحة التي قُدر لها أن تُدفن فيه، و أن يضمَّ ثراه أجساد أئمة الطهر و القداسة أئمة أهل البيت عليهم السلام، و صالحي الصحابة و التابعين رضي الله عنهم، و على مقربة منهم ضريح رسول الله صلى الله عليه وآله شفيعاً لهم و شاهداً عليهم، فهم في جنّة القرب من رسول الرحمة صلى الله عليه وآله و في جنّة جواره و كنفه و رعايته ينتابه شعور طيب و هدوء و سكينة و اطمئنان بالأجر و الثواب، فما أجمل ما يشعر به هذا الزائر و هو يقف مواقف رسول الله صلى الله عليه وآله و يشهد مواضع زياراته المتكررة للبقيع و دون أن تنقطع حتى في الساعات الأخيرة من حياته المباركة، و يُردّد كلمات رسول الله صلى الله عليه وآله: «السلامُ عليكُم يَا أهلَ القبورِ، و يغفرُ اللهُ لنَا و لكُم، أنتمْ لنَا سلفٌ، و نحنُ بالأثرِ». «السلامُ عليكُم دارَ قومٍ مؤمنِين»، السلام عليكم يا أهل القبور من المؤمنين و المسلمين».

فهل هناك أجمل من ذلك و أكثر بركة؟!

و تعالوا معي إلى فقرات مما ذُكر في زيارة أئمة أهل البيت صلى الله عليه وآله الراقدين في بقيع الغرقد؛ فهل ترى من شركٍ فيها؟ و إن عثرتَ على ما يدعو إلى عبادتهم، أو إلى الشرك، دلّني عليه!

«اَللهُ اَكْبَرُ كَبيراً، وَ الْحَمْدُ لله كَثيراً، وَ سُبْحانَ الله بُكْرَةً وَ اَ يلاً، وَ الْحَمْدُ لله الْفَرْدِ الصَّمَدِ الْماجِدِ الْاَحَدِ الْمُتَفَضِّلِ الْمَنّانِ، الْمُتَطَوِّلِ الْحَنّانِ، الَّذي مَنَّ بِطَوْلِهِ، وَ سَهَّلَ زِيارَةَ ساداتي بِاِحْسانِهِ، وَ لَمْ يَجْعَلْني عَنْ زِيارَتِهِمْ مَمْنُوعاً بَلْ تَطَوَّلَ وَ مَنَحَ». «اَشْهَدُ اَنَّكُمْ قَدْ بَلَّغْتُمْ وَ نَصَحْتُمْ وَ صَبَرْتُمْ في ذاتِ الله، وَ كُذِّبْتُمْ وَ اُسيءَ اِلَيْكُمْ فَغَفَرْتُمْ»... «يا مَنْ

هُـوَ قائِـمٌ لا يَسْـهُو ، وَ دائِـمٌ لا يَلْهُـو ، وَ مُحِـيطٌ بِكُلِّ شَـيْء لَكَ الْمَنُّ بِـما وَفَّقْتَنـي وَ عَرَّفْتَني بِـما اَقَمْتَنـي عَلَيْـهِ ، اِذْ صَـدَّ عَنْـهُ عِبـادُكَ ، وَ جَهِلُـوا مَعْرِفَتَـهُ ، وَ اسْـتَخَفُّوا بِحَقِّـهِ ، وَ مالُوا اِلى سِـواهُ ، فَكانَـتِ الْمِنَّـةُ مِنْـكَ عَلَيَّ مَـعَ اَقْـوام خَصَصْتَهُمْ بِـما خَصَصْتَني بِهِ ، فَلَـكَ الْحَمْدُ اِذْ كُنْـتُ عِنْـدَكَ في مَقامـي هـذا مَذْكُـوراً مَكْتُوبـاً ، فَـلا تَحْرِمْنـي مـا رَجَـوْتُ ، وَ لا تُخَيِّبْني فيـما دَعَـوْتُ ، بِحُرْمَـةِ مُحَمَّـد وَ آلِهِ الطّاهِرينَ ، وَ صَـلَّى اللهُ عَلى مُحَمَّـد وَ آلِ مُحَمَّد» . و حين يودِّعهـم الزائـر يقول: «اَلسَّـلامُ عَلَيْكُمْ اَئِمَّـةَ الْهُدى وَ رَحْمَـةُ الله وَ بَرَكاتُهُ ، اَسْـتَوْدِعُكُمُ اللهَ وَ اَقْـرَأُ عَلَيْكُـمُ السَّـلامَ ، آمَنّا بِاللهِ وَ بِالرَّسُـولِ ، وَ بِما جِئْتُمْ بِهِ وَ دَلَلْتُمْ عَلَيْهِ ، اَللّـهُمَّ فَاكْتُبْنا مَعَ الشّـاهِدينَ» .

إذن فنحـن نـؤدّي الزيارة للأنبيـاء الأئمة الطا ين و للصا ين و الشـهداء و كلُّ ما تتمنّـاه قلوبُنـا ، و تـردّده شـفاهُنا هو ما تختصره هـذه العبارة الجميلـة الرائعة: اللهـمَّ دُلَّني عـلى مَـن يدلّني عليـك ، و صِلني بمـن يَصلني بك!

و ليـس في حياتنـا أصد و أطهر مـن يُدلّنا على الله تعالى ، و يصلنـا بمنهجه القويم إلّا كتابـه العزيز و رسـوله الصـادق الأمـين صلى الله عليه وآله و عترته الطيبـة الطاهرة عليهم السلام . و لعـلَّ حديث الثقلـين في صيغـه المتعـدّدة المتقاربـة ، و التـي منهـا: «إنّي تـارك فيكـم الثقَلـين: كتاب الله و أهـل بيتـي ، أو و عترتي أهـل بيتي» .

جـاء ليُرشـدنا إلى ذلـك ، و ليُعزّز علاقتنـا بالله تعـالى ، و يوثّقها عبر هذيـن المصدرين المباركـين لا غير!

لهـذا فـإني أقـف عـلى أضرحـة الصالحـين ، و بالـذات أضرحـة الثقَـل الثـاني ؛ العترة المباركـة ، لا لأعبدهـ و لا لأُشركهـم في عبـادتي لله الواحـد الأحـد ، بل لأُسـلّم عليهم ، أدعـو الله لهـم ، أتذكر سـيرتهم الصادقة ، أدعوه تعـالى أن يمدّني بالقدرة عـلى الاقتداء بهم و بسـنّتهم و أخلاقهـم ، أن يحـشرني معهـم في الآخـرة ، و أن يجعلني أحظى بشـفاعتهم و قبـولي في حوزتهـم بإذنٍ منـ و رحمة.

لقـد انهالـت تلك الأيدي بمعاولهـا على جميع ذلك ، عـلى وجوه طيبـة ، و قيم مباركة، و مناقب جليلة.

لا أدري أيّ عـداءٍ و فهـمٍ عقيـمٍ تمكّـن مـن نفـوس جعلت هـذه البقعة قفـراء جرداء خربـة ، و إن لم تكـن هكـذا كانـت مدعـاةً للكفر و الـ و البدعـة و الضلال!

لا أدري أيّ ملازمـة بـين قـبر معلّـم بقبّة متواضعة عليـ و تحقق الشـ ك و الضلال ، و تحقـق عبادة غـير الله؟!

و أي ملازمـة بـين قـبر خـرب في أرض موحشـة و تحقـق التوحيـد الخالـ و الإيمان الخالـص ، و العبـادة الخالصة؟!

و من أراد أن يعبد الله سـبحا ه و تعالى ، فالمقبرة ذات الأحجا و الجدران و الأسـقف، و ذات الأرض المخـضرة المزهـرة لا تقـف حائـلاً و مانعـاً من ذلـك. و مـن أراد أن يشرك بـالله ، بـأن يعبـد صاحب القبر ، و يدعـوه من دون الله تعـالى ، فإزالة القبّـة و القبر و جعل مـا حولـه أرضـاً مقفرةً لا تمنعـه عن ذلك أبـداً ، كـما أنَّ وجودها لا يحثّـه على الشرك.

فالأمـر يتعلّـق بنيّـة الزائـر و وعـ ه و معرفتـه و ثبـات إيمانه ، سـواء جـرّدت القبور مما ارتفـع فوقهـا ؛ من قبابٍ أو أسـقفٍ و جـدران ، أو تكون ذات قبابٍ و أقـواس ، فإن نوى عبـادة مـن دُفـن في القبر مـن دون الله تعالى فقـد أشرك ، والعياذ بالله. فما يُبنـى على القبور لا يشـجع على ذلـك ، و عدمه لا يدفعـه إلى خلوص العبـادة لله وحده!

و لهـذا صـارت النيّـة هي القصـد و جمعها نيّات أسـاس العمل. و قـد روي الفريقان سـنّة وشـيعة عـن رسـول اللهﷺ أنّه قـال: «إنـما الأعـمال بالنيّـات ، و إنّـما لكلّ امـرئٍ ما نـوى». روي «أنَّ بالنيـات خلـد أهل الجنـة في الجنـة ، و أهل النـار في النار».[1]

ثـمَّ لمـاذا تخويـف الناس من زيـارة أمواتهـم ؛ آبائهـم و إخوانهـم و متعلقيهـم ، أو بناء قبـاب بسـيطة أو أضرحـة متواضعـة لقبورهـم ، رغبـةً منهـم في تكريمهـم و توقيرهـم ،

١. انظر صحيحي البخاري و مسلم ؛ بحار الأنوار، للعلّامة مجلسي٦٧: ٢١٢، رقم ٤٠ .

و تخليد ذكراهم ، فتُكبّل أنفسهم و عواطفهم ، و الأسوأ من هذا أنّكم تجعلون لذلك آثاراً وخيمة في الآخرة ، فيتركهم خائفين قلقين! و كأنَّ هناك عداءً للموتى ، و جميع شعوب الأرض بفطرتها تُحب زيارة موتاها ، و تستأنس حينما تُضفي عليهم شيئاً من التكريم عبر رثائهم تارةً ، و أُخرى ببناء قباب عليهم بالحجارة و الطوب قديماً و بالمرمر و الزجاج حديثاً ، و زراعة ما حولها فلعلّها تدفع الوحشة ، و تلقي في نفوس من يفعل ذلك سلوةً و راحةً ، شريطة أن لا تدعو للمباهاة ، و لا تشغل عن ذكر الله تعالى و عن الموعظة ، و قد ورد عن ابن عباس أنَّ النبيَّ ﷺ مرَّ بحائط ، ... فسمع صوت إنسانين يُعذبان في قبورهما... ثمَّ دعا بجريدة ، فكسرها كسرتين ، فوضع على كلِّ قبرٍ منهما كسرةً ، فقيل له: يا رسول الله لِمَ فعلتَ هذا؟ قال: لعلّه أن يُخفف عنهما ما لم تيبسا».

و في رواية: «... ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً ، فَشَقَّهَا بِنِصْفَيْنِ ، ثُمَّ غَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ ، لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟ فَقَالَ: لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا».[1]

ثمَّ لماذا فقط زيارة القبو و البناء عليها ذريعة للشرك ، فما أكثر الذرائع المؤدية للشرك ، سواء أكان شرك عبادة أم شرك طاعة أو شرك النعم؟

أَلا في ذلك أغلال تكبل الناس لا لجرم اقترفوه ، و كلُّ ما قاموا به زيارة لموتاهم، لا يعودون منها إلّا بالتوبيخ من قبل أتباعكم ، فضلاً عن الازدراء و الإهانة ، بل و وصفهم بالشرك و الكفر؟!

أَوَ ليس في هذا حرج و تضييق عليهم و تعسير للدين ، بدل التخفيف و التيسير؟! فأين أنتم من «**يسروا و لا تعسروا**» ، «**و بشروا و لا تنفروا**» و «**إنّ الدّين يسر**» لا تعسير و لا تشديد فيه و لا تنفير؟!

و إذا كان الشرك يتعلق بزيارة القبور بقببها أو بدونها ، فقد اتفق المسلمون على أنَّ رسول الله ﷺ زار قبور البقيع ليلاً نهاراً ، و استغفر لأهلها كما ذكرنا ذلك. و اقتداءً

١. صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الجريد على القبر رقم: ١٣٠٧ .

بـه صلى الله عليه وآله صـار المسـلمون، إلّا قليـل منهم، يـزورون البقيـ و يدعون و يسـتغفرون لأهله عـلى مـرِّ العصـور و الأجيـال، حتى أنك لا تـرى من يـأتي لأداء فريضة الحـجّ أو للعمرة، إلّا و أكمـل ذلـك المنسـك بزيـارة البقيـع، قـد يزوره قبـل المناسـك أو بعدها بحسـب ما تقتضيـه حملـة الحـجّ و العمـرة التي هو فيهـا، و هذا مـا تميَّزت بـه مقبرة البقيـع، لم نجد مـن عبـد صاحـب قبرٍ نبيًّـا كان أو إماماً أوصالحـاً أو عالمـاً، أو يدعوه مـن دون الله تعالى، و هـو للتـو يُنـادي: «لبيك اللهـم لبيك، لبيـك لا شريك لـك لبيك».

و كلُّ مـا يفعلـه الزائـر أن يقـف عليهـم، يسـلّم عليهم، يدعـو الله تعالى لنفسـ و لهم بالرحمـة و المغفـرة، يقـرأ آيـات قرآنيّـة و ينـوي ثوابها لهـم، و هو بهـذا يبتغـي تكريمهم، و فيـه وفـاءٌ م و برٌّ بهـم، و لا أظنُّ أنَّ الديـن الحنيف إلّا و يدعو إلى هـذا الخلق الطيّب!

كـما أنَّ الزائـر يرجـو ثـواب زيارتهم، و مـا يترتب من الأجر مـن الله تعـالى، فأين هذا من عبادتهم؟!

نَعـم قد يتوسـل بهـم إلى الله تعالى و التوسـل عنده مشـروع و له أدلته، و قد يستشـفع بهـم، و الشـفاعة عنـده لهـا أدلتهـا، لا اتّباعـاً للهـوى أو جهلاً و عنـاداً و بالتـا فلا يحقُّ لأحـد أن يتهمهـم بالـشرك، و الخـروج عـن الديـن عقيـدةً و شريعـةً مـا دامـوا يُقيمـون الدليـل بصـدق، و يتّبعـون الحجّـة و البرهان في الـذي يؤدونـه، و التنزيل العزيـز يقول: ﴿قُـلْ هَاتُـواْ بُرْهَانَكُـمْ إِن كُنْتُـمْ صَادِقِين﴾.[1]

و قطعـاً لـو علموا أنَّ الدليل لا يسـعفهم، البرهـان لا ينهض بذلك لمـا زاروا القبور صلاً؛ و لا اسـتغفروا لأهلها و لا توسّـلوا أو استشـفعوا بهم.

و لكـم أن تناقشـوا أو تردّوا أدلتهـم، لا أن تصفوهم بالكـ ر و الـشرك؛ لمجرد اختلافهم معكـم، فليكـن الاختـلاف اختـلاف دليـل؛ لا فتاوى تكفـير و تضـ يل و تسـقيط و تخريب و تقتيـل، و مـا أجمل التنـوع و الاختلاف العلمي، و ما أحسـن نتائجه و ثماره لـو كنّا عالمين!

١. سورة البقرة: ١١١.

لقد انهالت تلك المعاول!

بـما تحملـه من فتاوى تكفـير ، و لم تتردد أمام تلـك المواقف لرسـول الله صلى الله عليه وآله ، أو تتوقف أمـام تلـك الفضائـل ، و لم تتلـكّأ إزاء تلـك الوجوه التي دُفنـت في بقيع الغرقـد ، فانهالت على قبورهم و قبابها ، ردمتها و جعلتها و سـاحتها خربةً ، و كأنَّ الشـرك انتهى ، و اجتثَّ مـن الأرض بفعلتهم هذه!

و كأنَّهـم بعملهـم هـذا يُزيلـون عـن الزائـر مـا يدعـوه إلى عبادة المـزور و تقديسـه كما يتهمونـه ، و كـما هـم يزعمون!

علـماً بأننـا لطامـا قمنـا بزيـارة الصالحـين ، و لم يخطر ببالنـا أننا نعبدهـم أبـداً من دون الله تعـالى ، بـل نكـون عندهـم و عـلى مقربـة منهـم أكثـر ذكـراً لله ، و للآخـ و أهوالهـا و مشـاهدها ، فتلـين قلوبُنـا و تكـون أعظـمَ خشـوعاً لربّهـا ، و تعلقـاً به.

لقـد اختـاروا الهدم و التخريـب ، فهـو الأسرع و الأسـهل عليهم ، فراحـوا يتعاملون مـع قبـور المسـلمين و ما بُني عليها مـن قبل متعلقيهـم ، و كأنَّها رمز للشرك كـما يزعمون، و راحـت أيديهـم تتعامـل معهـا معاملة الأصنـام و الأوثـان ، و دون الاهتـمام بخطورة ما يفعلونـه في تمزيق السـاحة المسـلمة و المجتمع المؤمـن ، و فيما يتركه من سـوء في النفوس ، و في العلاقات بين المسـلمين.

و أمـا بنـاء الإنسـان المسـلم في إيمانـه و تقويـة معرفتـه بدينه ؛ ليكـون أكثر علـماً و فهماً لمـا تريـده الشريعة منـه ، و بالتـالي أكثر وعيـاً ، و هو الحصن المنيـع له عن الكفـر و الشرك و الضـلال ، و أن يكـون البنـاء المذكـور عـبر مـا قررتـه الآيـة المباركـة من منهـج قويم في دعـوة النـاس و إرشـادهم إلى الله تعـالى ؛ يتصف بالرفـق ، فهو يقرّب ، و يرفض أسـلوب الشّـدة و العنـف فهـو يُنفّر و يُثـير الحفائظ ، فيـأتي بنتائج عكسـية: ﴿**أُدْعُ إِلَىٰ سَـبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَـةِ وَ الْمَوْعِظَـةِ الْحَسَـنَةِ وَ جَادِلْهـم بِالَّـتِي هِيَ أَحْسَـنُ إِنَّ رَبَّكَ هُـوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَـلَّ عَن سَـبِيلِهِ وَ هُـوَ أَعْلَـمُ بِالْمهْتَدِينَ**﴾.[1]

١. سورة النحل : ١٢٥ .

فإنَّهم لا يقيمون لهذا كلّه وزناً؛ و ارتضوا لأنفسهم ابتعاداً عن التنزيل العزيز، و تقديساً لكبرائهم، و اتباعاً لفتاويهم في التكفير و التهديم و التخريب!

و نِعِمَّا يقوله هيكل:

فليست الوسيلة إلى ذلك هدم هذه القباب، و إنّما الوسيلة إليه هدم ما في النفوس من حُجُب الجهل و قِبابه، و تفتيح مغالقها بإظهارها على ما صنع السلف، و ما خلفوا من علم و فنٍّ و حضارة، فالعلم هو النور الكشّاف الذي يهتك حجب الزمن، و يُرينا ما خلفه آباؤنا و أسلافنا للإنسانية من أسباب المعرفة، و ما تؤدي إليه المعرفة من فضل و خير، و ما تنير به سبيل الإنسانية لمستقبلها على هدى الماضي و ما تمَّ فيه، يومئذٍ لا يعبد الإنسان الإنسانَ، و لا يتخذه إلى الله زلفى، و إنّما يعبد الإنسان الله وحده لا شريك له، و يتخذ من علمه و من عمله و من تقواه الزلفى إلى الله!

هدموها بمعاولهم بفتاويهم و قساوة قلوبهم حتى أنَّك لا تستطيع أن تتبين قبراً واحداً من أولئك الصحابة و الشهداء و الأئمة و أهل البيت إلّا إذا صحبك الدليل، ذلك لأنَّ جميع هذه القبور قد سويت مبانيها و معالمها بالأرض كما سويت قبور (المعلا) في مكة.

هذا ما ذكره محمد كامل حتة، و هو و إن قال: و قد نهى الرسول صلى الله عليه وآله عن إقامة الأضرحة و التهاليل فوق القبور. و هذا رأيه، لكنّه يواصل كلامه بعد عبارته تلك قائلاً: و لكن كان يجدر أن يظلَّ على كلّ قبر شاهد يحمل اسم صاحبه للذكرى، فليس في نشدان الذكرى و الترحم على الصحابة و الشهداء و الأئمة و أهل البيت و غيرهم ما يتنافى مع ما أوصى الرسول صلى الله عليه وآله و شرعه في زيارة القبور إنَّ محمداً حين دفن ولده إبراهيم هنا في البقيع سوى على قبره بيده، ثمَّ أعلم عليه بعلامة، و قال: «إنَّها لا تضرّ و لا تنفع، و لكن تقرّ عين الحي، و إنَّ العبد إذا عمل عملاً أحبّ الله أن يتقنه».

فما كان أحرى بالذين هدموا معالم البقيع كما هدموا معالم المعلاة أن يقيموا على قبورها علامات كتلك التي أقامها سيدنا محمدﷺ على قبر إبراهيم رضي الله عنه و ألّا يدعوا هذه القبور التي تضمُّ بين صفائحها الكثيرين من أهل الجنّة مُجهّلةً لا يهتدى إليها الزائر ، إلّا أن يصحبه المزوّر أو الدليل.

يقول محمد حسين هيكل: فإذا أراد المسلمون ألا يكون للقبا و لا لغيرها ما يدعو الوهابيين إلى هدمها ، و ما يجعلهم يتهمون غيرهم من المسلمين بعبادتها ، فليست الوسيلة إلى ذلك هدم هذه القباب ، إنّما الوسيلة إليه هدم ما في النفوس من حجب الجهل و قبابها ، و تفتيح مغالقها بإظهارها على ما صنع السلف ، و ما خلفوا من علم و فنّ و حضارة ، و إنّما يعبد الإنسان الله وحده لا شريك له ، و يتخذ من عمه و عمله و تقواه الزلفى إلى الله.[1]

زيارتان للبقيع :

زيارة بورخارت :

و اسمه إمّا عبد الله في قول ، أو إبراهيم بورخارت في قول ثانٍ ، قام بزيارة لبقيع الغرقد بعد تخريب قبابه ، نكتفي بما ذكره هيكل عن زيارته هذه في فصل جنّة البقيع، و ما قاله الرحالة السويسري (لويس بورخارت) و الذي اعتنق الإسم و سمّى نفسه إبراهيم: يقول (بورخارت) في كتابه وصفًا لهذا المكان: «في اليوم الذي يلي أداء الحاج واجباته للمسجد و الحجرة تجري العادة بذهابه إلى مقبرة المدينة تكريمًا لذكرى القِدِّيسين الكثيرين المدفونين بها ، هي تجاور أسوار البلد على مقربة من باب الجمعة، و تُسمى البقيع ، صورتها مربع مكون من بضع مئات من الأذرع يحيط به جدار يتصل من الجنوب بضاحية المدينة تحيط به من سائر نواحيه مزارع النخيل و هذا المكان

١. محمد كامل حتة (ت١٩٨٥م)، في ظ ل الحرمين :١٥١؛ في منزل الوحي، جنّة البقيع، لهيكل .

حقير جدًّا بالنظر إلى قداسة الأشخاص الذين يحتوي رُفاتهم، و لعله أشد المقابر قذارة و حقارة بالقياس إلى مثله في أية مدينة شرقية في حجم المدينة، فليس به قبر واحد حسن البناء، كلّا بل ليست به أحجار كبيرة عليها كتابة اتُّخذت غطاء للقبور، إنّما هي أكوام من تراب أحيطت بأحجار غير ثابتة، و قد اتُّهم الوهابيون بأنهم الذين دمَّروا القبور، و اتخذ الدليل على ذلك من بقايا قبابٍ و مبانٍ كانت على قبر عثمان و العباس و فاطمة وعَمَّات محمد قيل: إنَّ هؤلاء المتعصِّبين دمّروها، لكنّهم من غير شك ما كانوا ليزيلوا أي قبر بسيط مبني من الحجر هاهنا، و هم لم يصنعوا من ذلك شيئًا بمكة و لا بغيرها من الأماكن، فما عليه هذه المقبرة من سوء الحال لا بدَّ أن قد سبق عهد الغزوة الوهابية، و يرجع سببه إلى ضيق التفكير الذي جعل أهل المدينة يضِنُّون بأي نوع من البذل إكرامًا لرُفات العظماء من بني موطنهم، فالمكان كله مُضْطَرب، يجمع أكوام التراب إلى جانب الحُفَر الواسعة و الحثالة من غير أن يكون به حجر قبريٌّ واحد، و يطاف بالحاج لزيارة عدد من القبور و لتلاوة الأدعية المألوفة حين وقوفه بكلّ قبر منها، و إنَّ كثيرين ليقصرون أنفسهم على حِرْفَة هي الوقوف طيلة النهار على مقربة من أحد القبور الهامة و في يدهم منديل منشور في انتظار الحجاج الذين يجيئون للزيارة، و هذه الحرفة امتياز خاص ببعض الفرَّاشين من خُدَّام المسجد و أُسرهم، إذ قسَّموا المقابر فيما بينهم ليقف الواحد منهم عند أحدها أو يبعث خادمه بديلًا منه».

هذا ما يصف به الحاج عبد الله بورخارت جَنَّة البقيع!

زيارة هيكل:

ثمَّ يواصل هيكل حديثه عن زيارته للبقيع بعد مضي قـ ن و ربع على زيارة بورخارت، و يصف أيضاً كما فعل هذا الرحالة ما حلَّ فيه من تهديم الوهابيّين و تخريبهم معالمه، فيقول: «و لقد زرتُها بعد خمس و عشرين و مئة سنة من زيارته إياها، فلم أجد بها بقية لبناء أو قبّة على الأجداث، مما حمل التركي على أن يسمي

هـذا المـكان جنّـة البقيـع ، و لم أجِـدْ بهـا أكوامًـا مـن الـتراب و لا حُفَـرًا و لا حثالـة ، إنّـما وجـدتُ قبـورًا مُسـوَّاة بـالأرض يحيط بكلّ قـبر منها أحجـار صغـيرة تُعْلمه ، فقـد أُزِيل في هـذا العهـد الحـاضر كلّ ما بقـي من أثر لقُبـة أو بناء و سُـوِّيت القبور بـالأرض ، فلولا أنـك تعـرف أنَّ هذا المكان هـو البقيـع ، و أنَّ به رُفاتًـا خَلَّف أصحابُها عـلى التاريخ أعظم الذكـر ، و لـولا هذه الأحجـار المحيطة بكلّ قـبر ؛ لخلتها فضـاءً مُسَـوَّرًا لا شيء البتة فيه، لكـن مـا تعلمـه عـن الثاوين بهـا يجعلك تقـول مـع بورخـارت: «لقـد بلغـت المدينة مع الغِنَـى برُفـات القديسـين العظـماء حتى لقـد كان كلّ من هـؤلاء يفقد جـلال العناية بذاته عـلى حـين تكفي بقية مـن رفات أي مـن المدفونـين بالبقيع ؛ لتجعـل لأيَّةِ مدينة إسـلامية أعظم الشـهرة».

زرتُ البقيـعَ و تخطيـتُ أثنـاء القبـور، و وقفـت عـلى كلّ قـبر و صَلَّيْـتُ عـلى صاحبه و اسـتغفرت الله لـه ، ثـمَّ وقفـت متأمـلًا أتدبـر مـا أمامـي و تناجينـ نفسي: «أَوَيمـوت الذيـن يسـبقوننا إلى القبـور ، أم أنهـم يُنقلـون مـن عالمنـا هـذا إلى العـالم الآخـر ، فتنحـلّ أجسـامهم إلى عناصرهـا الأولى ، و تبقـى أرواحهـم بـين يـدي بارئهـا يُحاسـبها عـلى مـا قَدَّمَـتْ؟! و مـا قَـدَّم الذين قبلنا لا يـزول بزوالهم ، بل ينتقل إلينا و يصبـح ميراثنا عنهم ، تتأثـر بـه حياتنـا حتى لكأنهـم بيننا ، و حسـبي أن أذكر مـا في نفسي أنا المـصري من ميراث هـؤلاء المؤمنـين المدفونـين بهـذا البقيـع ؛ ليُثبت يقينـي باتصال الوحـدة بيننا و بـين الذين سـبقونا ، ليكن مذهبي الإسـلامي شـافعيًّا أو حنفيًّـا أو حنبليًّا فأنا قد تأثـرتُ و تأثر أمثالي لا ريـب بمذهـب هـذا الفقيـه العظيـم مالـك بـن أنـس الراقـد في هـذا البقيـع ، و ليكن هـواي السـياسي في الحيـاة الإسـلامية عَلَوِيًّـا أو أُمَوِيًّـا فأنـا تأثـرت بلا ريب بهـذا الخليفة الكبـير عثـمان بـن عفان ، و بـزوج هـذه الراقدة ها هنـا فاطمة ابنـة النبيِّ و بابنيها الحسـن و الحسـين ، و هـذه الأسرة الكريمة أسرة رسـول الله ، و ها هنا منها رُفـات زوجاته و بناته و عمَّاتـه ، قـد تركـت مـن الأثر في حيـاتي أبلغـه و أعمقه ، تغـيَّر اتجاه تفكيري على السـنين غـير مـرّة ، و لم يتغـير مـا تـرك هـؤلاء جميعًـا في النفس مـن أثـر ؛ آيتُـه أنني كنـتُ و بقيتُ

أحْنِي الرأس إكبارًا و إجلالًا لدى ذكرهم و حين الحديث عنهم.

وقفت على كلّ قبر بالبقيع وصليت على صاحبه و استغفرت الله له، و كذلك كان يفعل الذين رأيتهم يزورونه ساعة زيارتي إياه، على أني عجبتُ لقوم رأيتهم يُطيلون الوقوف عند قُبور أهل البيت و يبكون أحَرَّ البكاء، فإذا مروا بقبر عثمان استحثوا الخُطا فلم يقفوا عنده، قال أصحابي حين سألتهم في ذلك: أولئك جماعة الشيعة، فهم ما يزالون يذكرون أنَّ دم عثمان هو الذي أذْكَى الفتنة بين عليٍّ و معاوية، و بين بني أمية و آل البيت، و أنه الذي أدّى إلى مقتل عليٍّ و الحسين، و هم لذلك يمرون بهذا القبر سراعًا لا يصلُّون على صاحبه و لا يستغفرون الله له، و زاد في عجبي أنَّ أهل بيت النبيِّ أنفسهم لم يبلغوا من المَوْجِدة على عثمان بعد موته هذا المبلغ، لقد رأيت كيف أراد الحسن بن زيد أن ينتقم من بني أمية لإدخالهم حُجرات أزاوج النبيِّ في رقعة المسجد، فكتب إلى المنصور أن يزيد في رقعة المسجد أن يجعل الحجرة النبوية في وسطه لتدخل دار عثمان في رقعته، و كيف أجابه المنصور: إني قد عرفتُ الذي أردت فاكْفُفْ عن ذكر دار الشيخ عثمان بن عفان، و لم يخالف أحد من العباسيين المنصور في تفكيره هذا على طول مُلكهم، أفتبقى الموجدة في نفوس الشيعة أكثر مما بقيت في نفوس بني العباس و هم أقرب الناس إلى عليٍّ و إلى الحسين نسبًا؟! أم أنها ليست المَوْجِدة، و لكنها العقيدة التي يتوارثها الأجيال من غير تفكير في سببها و منشئها، و التي تنشأ أول أمرها متأثرة بأهواء شُعوبية أو سياسية أغلب الأحيان؟!

حتى بدت كما وصفها الرحالة بورخارت من سويسرا بقوله: مقبرةً حقيرةً جدًّا لا تليق بقدسية الشخصيات المدفونة فيها، و قد تكون أقذر واتعس من أية مقبرة موجودة في المدن الشرقية الأخرى التي تضاهي المدينة المنورة في حجمها، فهي تخلوا من أي قبر مشيد تشييداً مناسباً، و تنتشر القبور فيها، و هي أكوام غير منتظمة من التراب، يحدّ كلاً منها عدد من الأحجار الموضوعة فوقها و يُعزى تخريب المقبرة إلى

الوهابيين. فالموقع بأجمعه عبارة عن أكوام من التراب المبعثر، و حفر عريضة و مزابل».

و قد خرب الوهابيون قبو هم و عبثوا بها

هكذا يصف المسجد الذي شُيّد حول شهداء أُحد، قبر حمزة بن عبد المطلب و مصعب بن عمير و الآخرين من الشهداء.

و كأنّهم بعبثهم هذا و تخريبهم لمعالم البقيع، و جعل هذه المقبرة موحشة مقفرة خربة يُنهون الشرك، و ينتزعونه من الأرض، و يقيمون التوحيد فيها بين الناس!

تُرى أفيبقى البقيع كما هو اليوم مسوَّاة قبوره بالأرض لا يقوم على قبر منها قبّة، و لا يُقام للعظماء و الصحابة المدفونين به أثَر يُذكَرون به؟

هكذا يتساءل هيكل؛ ليواصل كلامه قائلاً: لعلك تحسب الأمر يبقى كذلك ما بقي الوهابيون بالحجاز، و قد يكون في التاريخ ما يرجح ظنّك، فقد غزا الوهابيون الحجاز في أوائل القرن التاسع عشر المسيحي، فحطَّموا قباب البقيع كما حطموا غيرها من القباب بمكة و المدينة و غيرها من بلاد الحجاز!

في هذا الوقت زار السويسري (بورخارت) الحجاز، و وصف البقيع بما رأيت، فلمّا أجْلَتْ جنود مصر الوهابيين عن الحجاز، و عاد الأمر فيه إلى بني عثمان، أعادوا بناء كثير من القباب، و شادوها على صورة من الفن التي تتفق مع ذوق العصر.

و لقد ذكر صاحب «مرآة الحرمين» من هذه القباب ما لأهل بيت النبيِّ عليهم السلام و القبة التي بناها السلطان محمود سنة ١٢٣٣ للهجرة على قبر عثمان، و نشر صورها الشمسية، فلمّا عاد الوهابيون إلى الحجاز بعد ذلك بأكثر من مئة سنة هدموا هذه القباب كرَّةً أخرى، أفيُعيد التاريخ نفسه، فإذا جلا الوهابيون من الحجاز و دخل في حُكم أهله أو في حُكم غيرهم ممن لا يرون بإقامة القباب في الدين بأسًا أعادوا تشييدها، و إذا عاد الوهابيون بعد ذلك إلى الحجاز هدموها، أم يظل البقيع كما هو اليوم بَقِيَ الوهابيون في

الحجـاز أو جَلَـوْا عنـه؟ أم ترى يبلـغ الأمر بـين الوهابيين و غيرهم من طوائف المسـلمين إلى التفاهـم عـلى إقامـة أثـر يُذْكَـر به هـؤلاء الأبطال الذيـن دُفنـوا بالبقيع، عـلى ألَّا يكون هـذا الأثر موضع تـبرُّك و ألا يُتخـذ إلى الله زُلفى؟

و لا أريـد أن أجـازف بحكـمٍ، فأمـر ذلـك للمسـتقبل، المسـتقبل غيـب، و الغيب لا يعلمـه إلّا الله، لكنّـي مـع ذلـك أرجـو ألَّا يظـل هـذا البقيـع و ليـس بـه أثـر يذكـر به أصحابـه، و يذكـر بـه أعـلام مـن دُفنـوا طـيَّ صحائفـه، فلقـد دفـن بـه أكثر من عشـرة آلاف مـن كـرام الصحابة كان لهم في الإسـ م و تاريخـه و تعاليمه أثر أيُّ أثـر، إن قلتَ: الإسـلام و تاريخـه و تعاليمـه. قلـتُ: الحضـارة الإنسـانية في الـ ق و الغرب.

ثـمَّ يقـول: و نحـن لا نقيـم الآثـار لمن سـبقونا متاعاً لهـم بهـا، فمتاعهـم في عالمهم بما قدَّمـوا مـن عمل صالـح، و إنّـما نقيمها ذكـراً و معتـبراً للأجيـال في تعاقبها حثًّـا لأبنائها عـلى أن يجـدوا في السـابقين الأولين الأسـوة و المثل.

و عن عبادة الموتى يقول: و إنَّا إذ ندخل «البانتيون» في باريس أو كنيسـة «وستمنسـتر» في لنـدن، أو أيًّـا غـير هذيـن مـن مدافـن العظماء لا تجـول بخاطرنـا عبادتهـم، و لا يدور بخَلَدنـا تقديسـهم، إنّـما يدفعنـا ذكرهـم إلى الوقـوف عـلى أخبارهم و مـا خَلَّفـوا من أثر جليـل و عمـل صالـح، في هذا خير مشـجِّع عـلى متابعة هـذا العمل، و هـو خير مظهر للصلـة بـين الحا المـاضي صلة لا قيـام لأمّة لا قيـام للإنسـانية إلّا بتوثُّقها!

ما أعظم الأثر!

و مـا لنـا نذكر باريـس و لنـدن و بالمدينة من آثار الإسـلام مـا رأيت؟! مـا أعظم الأثر الـذي تثـيره دار أبي أيـوب الأنصاري في النفس!... و ما أشـدّ ما تهتز مشـاعرنا حين نقف عـلى قبر حمـزة عند سَـفْح أُحُـد! دع عنك موقفًـا كلّه الإجـلال و العظة أمام قبر الرسـول ...، أيَّـة نفـ لا تُحِـسُّ في هـذه اللحظـات الباقيـة الأثـر عـلى الحيـاة أصـدق الرغبـة في

السـمو إلى غايـة ما تؤهِّلها ملكاتها أن تسـمو إليه ، تشـبُّهاً بهـؤلاء الذين تركـوا على الحياة أثـراً أَخْلَـدَ الأثر و أبقـاه! و إذا صدقت الرغبة و اسـتقر العزم و امتلأت بـه الإرادة لم يكن لقـوة أن تصدَّنـا عـن بلوغ مـا نبغي ، فـالإرادة الصادقة أعظـم قوة في الحيـاة ، و من عرف كيـف يريـد قَـدَرَ على بلوغ مـا يريد.

و إنّـما قعد بالمسـلمين عـن إدراك هذه المعاني ، و دعاهم أن يتخـذوا من القباب مواضع للزلفـى إلى الله توسـلًا إليـه بأصحابهـا مـا هَـوُوا إليـه مـن جهل حجَـب عنهم جـلال ما صنـع الذيـ تُخلِّـد القبـاب أو تُخَلِّـد الآثـار ذكرهـم. و مـا ذا يذكر هـذا السـواد عن حمزة بـن عبـد المطلب وغـيره من أبطـال المسـلمين؟ ثمَّ مـا ذا يذكر مـن عمل علمائهـم و ذوي الفضـل و الكرامـة منهـم؟ ليـس يَذكـر مـن ذلـك شـيئاً ؛ لأنـه يجهل ذلـك كلّـه ، و غاية مـا يتصـوره أنَّ هـؤلاء رجـال اصطفاهـم الله بكرامتـه ، أو نسـاء أكرمهـنَّ الله بمن أعقبن مـن ذريـة صالحة ، فهـم بذلك أوليـاء الله ؛ و من ثَـمَّ يتخذهم هـذا السـواد إلى الله زلفى ، و يسـبغ عليهـم من صفات ما فوق الإنسـانية ما يسـوِّغ عنـده هذه الزلفـى. لا هدم قباب الموتـى ، بـل هـدم الجهـل و قبابـه! يقـول هيـكل: فـإذا أراد المسـلمون ألا يكـون للقباب و لا لغيرهـا مـا يدعـو الوهابيـين إلى هدمهـا ، و ما يجعلهـم يتهمون غيرهم من المسـلمين بعبادتهـا ، فليسـت الوسـيلة إلى ذلـك هـدم هـذه القبـاب ، و إنّما الوسـيلة إليه هـدم ما في النفـوس مـن حُجُـب الجهل و قِبابـه ، و تفتيـح مغالقها بإظهارهـا على ما صنع السـلف ، و مـا خلفـوا من علـم و فـنّ و حضـارة ، فالعلم هـو النور الكشـاف الـذي يهتك حجب الزمـن ، و يُرينـا ما خلّفه آباؤنا و أسـلافنا للإنسـانية من أسـباب المعرفة ، و مـا تؤدي إليه المعرفـة مـن فضل و خـير ، و ما تنير به سـبيل الإنسـانية لمسـتقبلها على هـدى الماضي و ما تـمَّ فيـه ، يومئذٍ لا يعبد الإنسـان الإنسـانَ ، و لا يتخـذه إلى الله زلفى ، و إنّما يعبد الإنسـان الله وحـده لا شريـك لـه ، و يتخـذ مـن عـمه و مـن عمله و من تقـواه الزلفـى إلى الله!

و تعالـوا نعيـش مـع هيـكل و مـا فكّـر بـه و مـا خطـر ببالـه و مـا تمنّـاه! بعـد زيارتـه

لبقيع الغرقد، فيقول: فكرت في هذا إذ عُدتُ من البقيع مارًّا بدار عثمان، فأويت إلى غرفتي، و جعلت أُقَلِّب في بعض كتب ألتمس فيها للبقيع و أهله ذكرًا، و لم أجد من ذلك سوى أنّ الذين دفنوا به يزيدون على عشرة آلاف من كبار الصحابة، لا تُعرف قبور أكثرهم، و إنّما يعرف من هذه القبور ما لإبراهيم و رقية و فاطمة أولاد النبيِّ، و فاطمة بنت أسد أمّ علي بن أبي طالب، و عبد الرحمن بن عوف، و عبد الله بن مسعود، و سعد بن أبي وقاص، و سعد بن زرارة، و خُنَيْس بن حُذافة السَّهمي، و الحسن بن علي، و ابن أخيه زين العابدين بن علي بن الحسين، أبي جعفر الباقر محمد بن زين العابدين، و جعفر الصادق ابن الباقر عليهم السلام، و العباس بن عبد المطلب، و أخته صفية، و ابن أخيهما أبي سفيان بن الحارث، و عثمان بن عفان، و سعد بن معاذ الأشهلي، و أبي سعيد الخُدْري، و زوجات رسول الله صلى الله عليه وآله خلا خديجة التي دُفنت بمكة و ميمونة التي دُفنت بِسَرف و هؤلاء جميعًا و ألوف الصحابة الذين دُفنوا معهم يَثْوُون في بقعة ضيقة من الأرض، لا يزيد مسطحها على مئة و خمسين مترًا في الطول، و مئة متر في العرض، ترتفع عما حولها، و يحيط بها سور لا شيء من الجمال في بنائه.

ثمَّ يواصل كلامه قائلاً: قلت في نفسي: أوَلا يهدي الله رجلًا من المسلمين إلى كتابة تاريخ لهذه البقعة و الذين دفنوا بها، ينشر فيه ما عملوا و يحلله تحليلًا علميًّا، و يرده إلى أصوله و يُبَيِّن ما كان له في الوجود من أثر؟! إنَّ في قصص ما صنعوا و ما كانوا عليه لأبلغ العبرة، و هو بعدُ يكشف من تاريخ هذا العالم عن شيء كثير ما أحوج العالم إلى أن يقف عليه، فهؤلاء جميعًا من أصحاب رسول الله، هم عَرَب من أبناء شبه الجزيرة، فما اتخذوه في حياتهم من عمل أدنى إلى تصوير الروح الحقّ لهذا الدين الحنيف و إلى هداية الناس لهذا الروح، و ما أشدّ حاجة الناس إلى هذه الهداية.

ألَا لو أنَّ عملًا ضخمًا كهذا العمل أتمّه رجل أو رجال لأسدَوْا إلى الإسلام و إلى التاريخ و إلى الإنسانية خدمة جلّى، و لمهَّدوا لأولي الفن أن يقيموا في هذا المكان أثرًا

خالـدًا يصـوِّر هذا الـروح ؛ روح الإقدام في سـبيل الحـق و الإرادة الصادقة في سـبيل الله. مـا أقـصرَ سِـنِي الحيـاة! فلـو أنَّ لي مـن القـدرة عـلى القيام بـشيء من هـذا العمـل الجليل أمهـد بـه الطريـق لإتمامـه ؛ لأقدمتُ غـير مبتـغٍ إلّا رضـا الله وحسـن ثوابـه ، و كفى بالله وليًّـا و نصـيرًا. و لكـن مَن لي بأن أقـوم ـ أنا الضعيف العاجز ـ فأجمع من شـتيت الأسـفار مـا يـؤرخ البقيـع و رجاله مـن أصحاب رسـول الله صلى الله عليه وآله ؟!

فلْأَذَرْ هذا الأمر يهيئ الله له من شاء من عباده ، و لله الأمر من قبل و من بعد.[1]

و ختاماً ، فإنَّ بقيع الغرقد ؛ مقبرةٌ مباركةٌ عبثَ بها قومُ سَوْءٍ !

و لكـنَّ الزمـنَ و بـإذنٍ مـن الله عـزَّ وجـلَّ كفيـلٌ بإنهاء مـا عليه هـذه الفئة مـن الناس مـن فكـرٍ متطـرفٍ قـاسٍ ، و مواقف أقـل ما يقال عنهـا: إنّها مؤذية و مسـيئة للمسـلمين؛ تركـت آثارهـا الخطـيرة عـلى البـلاد و العبـاد ، و لطالمـا كانـت و مازالـت تمـزّق السـاحة المسـلمة بفتاويهـا المتطرفة.

أملُنـا كبـيرٌ أنَّ هـذه الظاهـرة المقيتة الطارئة على عالمنا الإسـلامي سـتنتهي ، و سـيُبنى بقيـعُ الغرقد و يُشـيّدُ على شـكلٍ يُسرُّ المسـلمين جميعـاً ، و يُطيّـبُ خواطرهم بإذنـه تعالى.

* * *

١ . انظر كتاب: محمد حسين هيكل، في منزل الوحي ، فصل جَنَّةُ البقيع .